الجمهورية العراقية
وزارة الاعـلام
مديرية الآثار
بغـداد

سومر

مجلة علمية تبحث في آثار الوطن العربي وتاريخه

الجزء الاول والثاني ١٩٧٤ المجلـد الثلاثون

General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

ثبت الجزء

الصفحة		
أ	تقـديم	الدكتور عيسى سلمان
١	البيئة الطبيعية القديمة في العراق	فؤاد سـفر
١١	تطور علم الحيوان في الحضارات القديمة	عصام الملائكة
٢٧	بحث في الامثال العراقية ـ دراسة مقارنـة لامثـال المجتمع العراقي القديم والمعاصر ـ القسم الثاني ـ	الدكتور عبدالهادي الفؤادي
٤٧	اقدم حرب للتحرير عرفها التاريخ	الدكتورفاضل عبدالواحد علي
٥٩	ملامح الوجود السامي في جنوبي العراق	عبدالكريم عبدالله
٧٩	الطب العراقي القديم	الدكتور سامي سعيد الاحمد
١٣٧	مميزات الزجاج العراقي القديم وصفاته	هناء عبدالخالق
١٥٥	الحضر : النقود المكتشفة خلال تنقيبات (١٩٧١ ـ ١٩٧٢)	الدكتور واثق الصالحي
١٦٣	خان مرجان وصيانته	عطا الحديثي
١٧١	موضع سامراء وتحريات المعتصم	الدكتور طاهر العميد
٢٠٣	خزف سامراء الاسلامي	خالد خليل الاعظمي
٢٢٣	الكنى والالقاب على نقود دولتي المرابطين والموحدين في شمال افريقيا والاندلس	الدكتور محمد باقر الحسني
٢٧٣	التربة في العمارة الايوبية في سوريا	الدكتور عادل نجم عبو
٢٨١	حلي اسلامية اقتناها المتحف العراقي	زكية عمر العلي

التقـارير والانبـاء والمراسلات

٢٩٧	مسح آثاري في منطقة جزيرة عفك	صباح جاسم الشكري
٣٠٩	المجتمع العائلي الموسع والحكم الذاتي فى «أرافا»	ترجمة ـ سليم طه التكريتي
٣٢٩	آثار احرزها المتحف العراقي ـ٤ـ	كمال منصور عبادة
٣٣٥	البيئة الحيوانية لموقع ام الدباغية	ترجمة ـ ميسون حسو
٣٣٩	المؤتمر السابع للآثار في البلاد العربية	علي محمد مهدي
٣٤٣	اضواء جديدة على حوض الخليج العربي وتكوين سهل العراقي الجنوبي	
٣٤٥	المكتبة الآثارية	
٣٥٣	منجزات ومشاريع مديرية الآثار العامة	صادق الحسني

بحث في الأمثال العراقية

دراسة مقارنة لأمثال المجتمع العراقي القديم والمعاصر

ـ القسم الثاني ـ

بقلم : الدكتور عبدالهادي الفؤادي

باحث علمي

تحدثنا في القسم الاول من هذا البحث والذي نشر في العدد السابق من هذه المجلة (المجلد التاسع والعشرين ص٨٣-١٠٦) عن بعض جوانب وملامح الحالة والمؤسسات الاجتماعية في العراق القديم من خلال أمثال القوم • واستعرضنا كذلك مايقابلها من أمثالنا الحديثة متلمسين وجهة نظر كل من المجتمعين بالنسبة للقضايا والامور الاجتماعية التي تناولتها تلك الامثال •

وفي هذه المقالة ، نود أن نستعرض مجموعة اخرى من أمثال تتحدث عن الاخلاق والسجايا الشخصية وتعكس لنا فيما تعكس بعض الملامح الشخصية للفرد • وسنحاول ايضا الوقوف على تطرحها تلك الامثال من أمور اجتماعية ، ومن ثم نتابع مايراه عراقيو اليوم في أمثالهم بالنسبة للقضايا التي تتطرق اليها أمثال الامس •

ويبدو أن مجتمع الامس كان يعاني من وجود ظاهرة الطمع في العلاقات الشخصية تماما مثلما يعانيه مجتمع اليوم • ففي أحد الامثال السومرية يحدثنا قائله بلهجة تتسم بالمرارة عن شخصية مُسْتَغِلَّة يقول فيها :

« أَنَنتَ لاتَرْجِع ماكَنَنتَ قَدَاخَذَتَ ! »

أما أمثال اليوم فنجد فيها صدى لا يقل قوة وتأثيرا عن سابقها من حيث قوتها في التعبير واسلوبها اللاذع • وأحد هذه الامثال يقول :

آلأَخِذ حِلْو وَآلعَطَا مُرّ(٢)

---

(١) انظر : E. I. Gordon, *SP* 1.31.

(٢) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ١ : ٢٨ ، ١ : ٨٨

أما الثاني فهو ليس بأقل سخرية من شخصية المستغل الطماع غير المستحبة من المثل السابق حيث يقول :

« يآخذ ما ينعطي »(٣)

على ان هذا اللون من الشخصية قد يصل بها سلوكها في الطمع والاستغلال الى حد الامعان في التطفل وبذلك تصبح شرهة كريهة منبوذة من قبل الهيئة الاجتماعية ، حيث عبر لنا عن ذلك مثل سومري أجمل تعبير اذ يقول :

«دع ماهو لي يبقى كما هو ، دعني آكل ماهو لك ، فهل أن هذا يعزز المرء من مجتمع اصدقائه ؟! » (٤)

فالاسلوب الذي صيغ به المثل السومري هذا قد جاء في صيغة استفهام انكاري يؤكد على أن سلوكا كهذا لن يعزّز مكانة ذلك النموذج البشري أو يقرّبه من أصدقائه ولو تصفحنا أمثالنا الحديثة لوجدنا تحذيرات مشابهة موجهة بأسلوب لاذع هادىء ضد هذا اللون من الاخلاق الاجتماعية • ومن هذه الامثال أحدها يقول :

« اذا شفيتْ صاحبكْ حلوْ لتاكلّه كلّه !»(٥)

ومع ذلك فأذا كان الحكم الذي وصل اليه المثل السومري على هذا النوع من الاخلاق البشرية قد جاء بشكل مؤدب غير مباشر ، فأن مثلا حديثا آخر قد أجاب على الموضوع بأسلوب جريء قاطع قائلا :

« صَداقةِ الطَمَعْ مَتيستيقيمْ ! » (٦)

وقبل أن نترك الحديث عن الطمع والصديق المستغل المتطفل ولغرض المقارنة فلا بد من الاشارة الى احدى العبارات التي وردت في «المشنا» وهو من شروح العهد القديم قولها : « ما هو لك هولي ، وما هو لي هو لي ! »(٧)

أضف الى ذلك ، فأن من الامور التي نوهت أمثال الامس بخطرها وعالجت مساوئها بشكل منطقي هي مسألة الشراهة في تناول الطعام وأثرها في الصحة العامة • ففي أحد أمثال السومريين قولهم :

« من ياكل كثيرا جدا فلا (يتمكن من ان) ينام ! » (٨)

أما أمثال اليوم فهي تشبه بشكل أو باخر ما جاء به المثل السابق من حيث الجوهر وأحيانا شكلا ومضمونا ، ومن ذلك المثل الذى يقول :

« قلّلْ طعامكْ ، تِخمِدْ منامكْ ! » (١٩)

وهناك مثل آخر يقول :

« طعامْ على طعامْ يزِيد عِلتّه وسَقامْ!»(١٠)

نلاحظ هنا أن جميع هذه الامثال قديمها وحديثها تتفق على ضرورة الاعتدال في الاكل وتحذر من مغبة الشراهة فيه •

ومن الملامح الاجتماعية التي عكستها لنا أمثال العراق القديم تلك التي تصور شخصية فرد

---

(٣) أنظر : الغلامي : المردد ، ص ١٧١ •
(٤) أنظر : E. I. Gordon, *SP* I.8.
(٥) انظر : العنفي : الامثال البغدادية : ١ ٦٩ ، انظر كذلك : الغلامي : المردد ، ص ١٣ • هذا وقد ورد هذا المثل أيضا في كل من الامثال السورية ، الفلسطينية والمصرية :
« ان كان صديقك حلو (عسل) لاتلحَسو كلّو ! » راجع التكريتي : الامثال البغدادية المقارنة : ١ : ٣٨٧ • انظر كذلك :
S. G. Champion, *RP*, 334 :208.
(٦) أنظر : العنفي : الامثال البغدادية : ١ :١٠٧٤
(٧) أنظر : Pirke Avoth, 5 :14.
(٨) أنظر : E. I. Gordon, *SP*, 1.106.
(٩) أنظر : العنفي الامثال البغدادية : ١: ١٤٣٣
(١٠) أنظر الدباغ : معجم الامثال العامية الموصلية ، الجزء الاول ، ص ٢٥٤ •

يميل الى جلب الشـــر وسـوء الطالع • ويبدو أن الميل الى الشر هذا هو أمر طبيعي ملازم لهذه الشخصية، ولذلك تراه يندب حظه المتعثر الـذي تجده أينمـا حل وتوجه لا يصاحبه سوى سوء الطالع وهو في ذلك يقول : « **عندما أدخل مدينة هادئة فان (تلك) المدينة أجدها قد امتلأت بالدم ، وعندما أستقل سفينة في تيار هوائي عميق ، فان (تلك السفينة ؟) تتعرض الى مصيبة (؟) ! »**(١١) •

أما أمثالنا الحديثة فهي تعكس لنا لونين من هذه الشخصية أحدهما يتفق وما ذهب اليه المثل السومري وفي ذلك يقول : « **كاسُوحْ النْخَيرْ ! »**(١٢) وثان ـ وهو ايضا من الامثال الموصلية ـ يقول :

« **وَيصَـبْ مِنْ يِتْجِيهْ تِنْشَدْ آبْوچْتُو لْبوْابْ ! »**(١٣) •

ففي هذا اللون من الشخصية كما هي الحال في المثل السومري نجد أن المتحدث يعتبر نفسه مسؤولا عما يحصل من مصائب ومتاعب وسوء طالع حيثما يحل او يذهب • ومن المناسب هنا التمثل بأحد الامثال العربية التي نشرها « چامپيون S. G. Champion ضمن مجموعته حيث يقول المثل : « وجهه يقطـع كل خير ! »(١٤)

أما النوع الثاني من الشخصية النكدة في امثال اليوم فيتمثل بالشخصية التي يتحدث عنها المثال التالي:

« **مِنْ شُؤمْ حَظّي تِجِينِيْ آلْنَايِبَـاتْ رْدافْ ! »** (١٥)

---

(١١) انظر : E. I. Gordon, *SP*, 1.72.

(١٢) انظر الغلامي : المردد ، ص ١١٦ •

(١٣) انظر : الدباغ معجم الامثال العامية الموصلية ، الجزء الثاني ، ص ٤٧٠ •

ولمزيد من الفهم فلا بد من شرح مفردات المثل نظرا لكونه مدونا باللهجة الموصلية • فكلمة « وَيصَبْ » هي في الحقيقة متألفة مما يأتي : (وهي أداة الربط) + أيّ + صَوْبِ وقد اختزلت جميع هذه الكلمات في الكلمـة المشار اليها انفا وهذا ما يعـرف لغـويا بـ (Contraction) أي «الدمج» • وسريان هذه الظاهرة في اللهجات المحلية أمر تتطلبـه سهولة الكلام وسهولة الحديث وهو أمرشائع في كلام الشعوب • أما الكلمة التالية وهي «مِنْ» فأعتقد أن وضعها لا يمكن تفسيره من الناحية العلمية الا من خلال فرضية لغويـة وهـي أنها تمثل بالاصل بقايا عبارة « يريد أن » فبعد اسقاط الفعل «يريد» لسهولة الكـلام بقيت في الاستعمال كلمة « أن » ، وبالنظـر لصعوبة انسجـام نطق هذه الكلمـة اثنـاء الاستعمال ضمن صيغة المثل الواردة حيث أن مخرج الباء في كلمة « ويصب » وهو حـرف (Bilabial) أي يخرج من بين الشفتين ، لا يتفق مع حرف الهمزة في كلمـة « أن » المقترحة لان مخرجها (Palatal) ، أي يخرج من سقف الحلق • وبتأثير حـرف الباء تحولت الهمزة الى « ميم » لانسـجام مخرجيهما اللغويين وبذلك اصبحت « مِنْ »

أما كلمة «آبْوچْتُو» فتعني «بوجْهِهِ» وقد تعرضت هذه الكلمة ايضا الى تحويرات كثيرة ومنها ادخال حرف أعجمي في نحتهـا • الا أن الذي يستحق الملاحظة هو أن وجـود الهمزة في أول الكلمة ، وهي همزة وصـل ، فقد جاءت في الحقيقة تعويضا عـن علامـة الكسر تحت الباء • وبما ان هذا الحـرف أي «الباء» وبتأثيرات آرامية جاء ساكنا لذا حصل التعويض عن ذلك نطقا كما اسلفنا •

أما كلمة «لْبوْابْ» فهي الاخرى تعرضت لظاهرة التسكين والتعويض اللفظيين ، وهي تعني «الابواب» •

(١٤) انظر : S. G. Champion, *RP*, 332 :163

(١٥) أنظر الحنفي : الامثال البغدادية : ٢ : ٢١٥٦ أن بعض مفردات هذا المثل تحتاج الى شيء من التوضيح : فكلمة «شـوم» تعنـي «شـؤم» ، أما « النايبـات » فتعني « النائبـات » أو «النوائب» • وأما كلمة «رْدافْ» فهي بمعنى « الواحدة تلو الاخرى » •

وهنا نلتقي بشخصية تختلف عن تلك التـــي تحدث عنها المثل السومري آنف الذكر وكذلـــك الامثلة الحديثة المتقدمة • ومن ملامح هذه الشخصية أنها لا تعتبر نفسها مسؤولة عن سوء الطالع بل أنهـا تندب سوء الحظ والمصير المنكود الذي يجلب لهـا النحس والنوائب في كل زمان ومكان •

أضف الى ذلك ، نقد صورت لنا أمثال الامس حال الجهود الضائعة بسبب سوء الحظ الذى يلازم صاحبها ومن ذلك قول أحدها :

« حفر بئرا في مكان لم يكن فيه ماء ، ودبغ ؟ جلدا بدون ••••• ! » (١٦)

وبالنظر لكون المثل هذا مكسورا في شقه الثاني ، لذا فأن المقارنة ستتم مع شقه الاول فقط ، وعلى ذلك فأننا نجد صدى هذه الحال مصورا في أحد أمثال اليوم بقوله :

« وَينمَا نْرُوحْ بِگبُورنَا عظَامْ !»(١٧)

فالشخصية في كـلا المثلين القـديم والحـديث أسا ت الاختيار ، ففي المثل السومري نجد أن الشخص قد حفر بئرا في غير المكان المناسب ولذا فانه لم يعثر على الماء الذي حفرت البئر من أجله ، تماما كما هي حال الشخص في المثل الحديث الذى نجده يندب حظه المشؤوم الذى يفسد عليه جهوده اذ حيثمـــا يحفر أرضا كقبر لدفن الميت يجدها ملأى بعظام موتى سابقين •••

ومن الامور التي تعكسها لنا أمثـال الامس تلك التي تصور الموقف المحرج لشخص يحتـــار بين أمرين لا يقل أحدهما خطورة عن الآخر ، أو لا يلبث أن ينتهي من مصيبة الا ويقع في أخرى العن من سابقتها • ففي المثل السومرى النالى نجد تصويرا دقيقا للموقف :

« للى هروبي من الثور الوحشي تصدت لـي البقرة الوحشية ! »(١٨)

أما أمثال اليوم ، فنعثر في جملة منها عـــلى تصوير لا يقل دقة وقوة تعبير عما صوره لنا المثل السومرى • وأحد هذه الامثال يقول :

« خْلَصـــتْ مـــنْ حَلْگْ آلسَّـــبِعْ ، وْگَعِتْ بْحَلْگَ آلذَيْب ! »(١٩) •

وهناك مثل حديث آخر يقول :

آنْهِزَمْ مِنْ جَتَوهْ آلمْطَرْ ، وْگَعْ جَتَوهْ آلمِزرِيْب ! » (٢٠)

ومن المفيد في هذا الصدد مقارنة هذه الامثال جميعها مع مضمون المثل الانكليزي الذي يقول : « لا تقفز

---

(١٦) انظر :
W. G. Lambert, *BWL*, 241, obv. II, 48-49 & p. 249.

(١٧) انظر الحنفي : الامثال البغدادية : ٢ : ٢٤٧٦ • ولغرض الفهم فالمثل يصبح بالعربية الفصحى كالآتي : « واينما نروح [نجد] بقبورنـا عظام ! » وهو بالاصل من كلام حفاري القبور الذين يقومون بدفن الموتى ، الا أنه جرى فيما بعد مجرى الامثال •

(١٨) انظر : E. I. Gerdon, *SP*, 2.94.

(١٩) انظر :
Abdul-Hadi A. Al-Fouadi, *Seventy-Five Sumerian Proverbs and thier Modren Iraqi Counterparts : A Comparative Study* (M.A. Thesis, University of Pennsylvania, 1967), p. 46, No. 29².

ولمزيد من الفهم يصبح المثل في العربيـــة الفصحى كالآتي : [ما أن] تخلصت مـــن حلق (فم) السبع [حتى] وقعـت بحلـــق (بفم) الذئب ! » •

(٢٠) انظر التكريتي : الامثال البغدادية المقارنة : ١ : ٤٢٤ •

من المقلاة الى النار ! »(٢١)

ومن الشخصيات التي تعكسها لنا أمثال الامس أيضا ـ وان كانت تقرب من بعض الوجوه من تلك التي تحدثنا عنها تواً ـ صورة شخص ذي حظ متعثر وشخصية ضعيفة ، فتراه بسبب ذلك يشكو الوضع الذي هو فيه • أو بعبارة اخرى ، ان ضعف شخصيته وتعاسة حظه أديا الى تجاوز الآخرين على حقوقه واستغلالهم لاخص ممتلكاته الشخصية وهو في ذلك يقول :

« اذا كان هناك أي طعام بقي لي ، فان آبن عرس يأتي فيأكله ! وحتى لو أبقى لي على أي طعام ، فان شخصا غريبا ياتي ويأكله ! »(٢٢)

ولو تحرينا أمثال اليوم فلربما تجد صدى لمضمون المثل المذكور في المثل الحديث التالي :

« آلسَّلمَتْ مِنْ آلذِّيبْ آكَلاَ السَّبِعْ ! » (٢٣)

هذا ويبدو أن المرء مهما ابتعد عن مضان السوء ومصادر المتاعب ، ومهما تحاشى وقوعها فأن جهوده رغم ذلك تذهب سدى • والسبب في ذلك ـ على حد تقدير المثل ـ هو سوء حظه وتعاسته اللذان يلاحقانه أينما حل او ارتحل • وفي ذلك عبر لنا أحد الأمثال السومرية أدق تعبير حيث قال :

« أنا أسكن في بيت مبني من القار والطابوق ، (ومع ذلك) فان كتلة من الطين سقطت فوق رأسي ! » (٢٤)

وفي العربية الفصحى يصبح المثل كالآتي : « انهزم من تحت المطر ، وقع تحت المزريب ! » و«المزريب» اصطلاحا واستعمالا يعنى المنفذ الذي يبنى في سطوح المنازل والابنية لكي يسمح بنزول المياه وتصريفها من السطوح الى الشارع أو الساحات المحيطة بالابنية وذلك في أوقات المطر ، وأحيانا يربط المنفذ باتابيب قد تؤدي الى مجاري المياه القذرة في الابنية وكذلك في الشوارع •

وقد ورد هذا المثل في اشكال تختلف قليلا من حيث الصياغة نوردها فيما يلي : ففي الامثال الموصلية أورده الدباغ (: معجم الامثال العامية الموصلية : الجزء الثاني ، ص ٤٥٨) بالشكل التالي :

« هـرَبْ مِنْ آلْبَخَّهْ ، وْقَـعْ تَحْتْ آلمْزْغِيبْ ! » و « البخة » تعني حال المطر عندما يكون عابرا خفيفا متقطعا ويستغرق لدى سقوطه أمدا قصيرا • أما « المزغيب » فهو « المزريب » آنف الذكر • ولكن يلاحظ هنا أن حرف « الراء » في هذه الكلمة قد قلبت «غينا» وهو أمر شائع في اللفظ الموصلي •

هذا وقد نشر « روبرتسون » هذا المثل ضمن مجموعته انظر :

E. Robertson, *JAOS*, 52, No. 11.

أما الدكتور حسين محفوظ (: التراث الشعبي : ٢/٣ ، ص ٨) فقد أورد المثل كما جاء في امثال العامة فَرّ مِنَ آلمْطَرْ ، قَعَدَ تَحْتَ آلمْزْراب ! » •

انظر كذلك :

S. G. Champion, *RP*, 340 :477.

(٢١) انظر : Huxley, *JAOS*, 23, No. 55.

(٢٢) انظر : E. I. Gordon, *SP*, 1.9.

(٢٣) انظر: الدباغ : معجم الامثال العامية الموصلية، الجزء الاول ، ص ٧٢ • والمثل هو وارد باللهجة الموصلية ، أما لو أردنا فهمه بالعربية الفصحى فهناك احتمالان : الاول هو ان يفهم نصه بالشكل التالي : « أن سلمت من الذئب ، أكلها السبع ! » أما الثاني فهو : « تلك التي سلمت من الذئب ، أكلها السبع ! » • وأرى أن كلا الاحتمالين واردان رغم أن الاحتمال الاول اكثر قوة من الناحية اللغوية من الثاني• أي أن تخفيفا معينا أثناء الاستعمال كان قد حصل لحرف « النون » في الادارة « أن » مما أدى الى قلبها «لاما» وبذلك أدمجت مع الكلمة التالية لها في سياق المثل فاصبحت آلسَّلمَتْ » •

(٢٤) انظر :

W.G. Lambert, *BWL*, 243, iii, obv. 50-55 & p. 249.

أما مثل اليوم ، فهو اذ يضارع قرينه المثـــل السومري تصويرا وتعبيرا ، الا أنه يختلف عنه قليلا من حيث الشكل ، فهو أقل تفصيلا وتطويلا واكثر ايجازا واقتضابا • والمثل الحديث هذا يقول :

« قَوِّكْ ٱلْجِمَلْ وعَظَمْ ٱلْچَلِب ! »(٢٥) .

وهكذا ، فكما أن شخصية المثل السومري قـد صُوِّرَت وهي تتحاشى وتبتعد عن المصائب فتراه وان كان يسكن في بيت جيد متين فهو مبني من الطابوق المفخور ومزفت بالقار ومع ذلك فأن سوء الحظ يسقط ـ وهو أمر غير متوقع حقا ـ كتلة من الطين على رأس صاحبنا السومري وفي ذلك تناقض طريف جدا اعطى قوة تأثيرفاعلة الىالمثل السومري • وفيالمثل الحديث نجد من الناحية الاخرى أن شخصيته مهما تحاشت عضة الكلب ـ تعبيرا عن الابتعاد عن المكاره ـ الا أن سوء الحظ يأتي بها حتى ولو كانت على بعد شاهق منها (وفي ركوب الجمل أقوى تعبير عن ذلك) •

ومن خلال دراستنا لامثال العراق القديمـــة وأخص بالذكر منها السومرية ، يتضح لنا شـــغف اولئك القوم بالاكثار من استعمال التشبيه في أمثالهم • وقد جاءت أمثال كثيرة في ذلك ، والاصل فيه عقـــد مقارنة بين شخصيتين وغالبا ما تكون بين انسان وحيوان أو بين انسان وآخر • والتشبيه في غالب الاحيان يزيد المثل طرافة ومتعة لا سيما اذا جاء باسلوب ناقد لاذع • ومن أمثال ذلك قولهم :

« انت كالثور لا تعرف كيف تدير راسك ! » (٢٦)

أما أمثال اليوم فهي الاخرى غنية جدا باستعمال ادوات التشبيه وهي تفوق في الحقيقة مثيلاتها أمثال الامس • وقبل أن نتلمس ما يقابل المثل الســومري آنف الذكر في أمثال اليوم لابد لنا من فهم هـــذا المثل ، حيث هنالك احتمالان لتفسيره : فهو اما أنه يقصد اعطاء وصف لحال الشخص العنيد الـــذى لا يحيد أبدا عن الخط الذي اتخذه لنفسه • وهو بذلك يتفق والمثل الحديث الذي يقول :

« يْعانِدْ مِثْلِ ٱلثَّوْرْ ! » (٢٧)

أو أنه يشير الى شخص يبدو للآخرين وكأنه غير مكترث بما حوله ، السبب فيه هو اما عدم اهتمامـــه بذلك وبالنظـر لكونه مغرقاً في افكاره وعندئـذ فبالامكان مقارنته مع أحد أقوالنا السائرة الحديثـة الذى يقول :

« يْمشِيني ومَيدِيْر راسَهْ مِثْلِ ٱلثَّوْرْ! »(٢٨)

أما الشخصية المتعجرفة التي تنظر الى ذاتهـــا بأكثر مما تستحق فهي الاخرى وجدت طريقها الى أمثال الامس • فقد جسد لنا أحد الامثال السومرية هذه الشخصية بوصف قوى بارع وبأسلوب تهكمي لاذع وهو بذلك يقول :

« السماوات محملة فوقه ، الارض معلقة مـن بين يديه ! » (٢٩)

والشخصية المغرورة هذه لم تنعكس صورتها في أمثال

---

(٢٥) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية ، الجـزء الثاني ، ص ٢٤٩ •
ولزيادة الفهم يصاغ المثل بالعربية الفصحـى كالآتي :
« فوق الجمل وعضه الكلب »

(٢٦) انظر : E. I. Gordon, *SP*, 5:13.

(٢٧) انظر :
Al-Fouadi, *loc. cit.*, p. 52, No. 36_a.

(٢٨) انظر :
Al-Fouadi, *loc. cit.*, p. 52, No. 36_b.

(٢٩) انظر : E. I. Gordon, *SP*, 4:4

الامس فحسب بل نجد صداها الذى لا يقل قوة عنها في أحد الاقوال السائرة الحديثة الذى يقول :

شَايِلْ آلتَّدْنَيا عَلَىَّ خَشْمَهْ ! » (٣٠)

والواقع ، ان امثال الامس عكست لنا ـ بالاضافة الى ألوان متعددة من الشخصية الاجتماعية كما مر ذلك معنا ـ ضروبا مختلفه من السلوك الشخصي والتصرف الاجتماعي • فالصدق والكذب مثلا ظاهرتان تطبعان تصرف الشخص في تعامله مع محيطه الاجتماعي • فكما أن أمثال اليوم ، وبالتالي الهيئة الاجتماعية لا تتقبل صفة الكذب ولا ترحب بمن يحملها ، فأن مجتمع الامس هو الآخر قد أصدر حكمه على مثل هذا السلوك في أحد أمثال السومريين حيث يقول :

« قل الكذب (ثم بعد ذلك) قل الصدق فسوق يعتبر(؟) كذبا ! » (٣١)

أما أمثال اليوم فهي الاخرى لا تقل تحفظا وتزمتا في تعاملها مع الشخصية المجبولة على الكذب • ففي أحد أمثالنا الحديثة وقد جاء بأسلوب تهكمي جميل يقول :

« يَفُوتَكْ مِنَ آلْچَذَّابْ صِدگ چْثِيرْ !»(٣٢)

وبذلك نرى أن كلا المجتمعين العراقين القديم والحديث يحذران وبشكل غير مباشر من اعطاء الثقة للشخص الكاذب حتى ولو قال الصدق •

أما بالنسبة لنجاح الانسان في حياته ، وتوفيره مستلزمات معيشته فقد أخذ ذلك أيضا مكانه في أمثال العراق القديم • ففي أحد أمثال السومريين وردنا وصف جيد لشخص موسر في معيشته ، سعيد في حياته ومرموق في مجتمعه • والمثل بذلك يقول :

« في الداخل هو سعيد ، في الخارج هو مسرور ، معيشته ميسورة وهو محترم ! » (٣٣)

أما أمثالنا الحديثة فقد عبرت لنا بشكل موجز جدا عن فحوى المثل السومري السابق بصورة مركزة • فهي مثلا تقول في أحد أمثال اليوم :

« آلْجِيبَهْ مَلْيَانْ ، وَآلْگَلْبَ فَرْحَانْ ! »(٣٤)

كما أن هناك مثل حديث آخر في ذات المعنى يقول :

« خُبْزَكْ مَخْبُوزْ ، وَمَيَّكْ بِالْكُوزْ ! »(٣٥)

وهكذا نجد أن أمثالنا الحديثة قد التقت وبشكل غير مباشر مع المثل السومري فيما ذهب اليه الاخير في وصفه للشخص الناجح بأنه سعيد بما يتمتع به من

---

(٣٠) انظر :
Al-Fouadi, *loc. cit.*, p. 52, No. 37.

(٣١) انظر : E. I. Gordon, *SP*, 2.71.

(٣٢) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ٢ : ٢٧٨٧ •
وفي العربية الفصحى يفهم المثل كالآتي : « يفوتك من الكذاب صدق كثير ! »

(٣٣) انظر : E. I. Gordon, *SP*, 1.102

(٣٤) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ١ : ٥٦٧ •
ولمزيد من فهم المثل نحوله من العامية الى الفصحى فيصبح عندئذ : « الجيب مليان (مملوء) ، والقلب فرحان ! » •

(٣٥) انظر : الحنفي : المصدر السابق : ١ : ٧٢٦ •
وفي العربية الفصحى يقرأ المثل كالآتي : «خبزك مخبوز ، وماؤك في الكوز ! » ومن الملاحظ ان هذا المثل قد يورد أثناء الاستعمال بالاضافة الى صيغة المخاطب الوارد فيها ،وذلك بصيغة الشخص الثالث الغائب ايضا • هذا وقد أورد «چامپيون» هذا المثل كذلك ضمن مجموعته • انظر :
S. G. Champion, *RP*, 330 :53.

مباهج الحياة المادية داخل بيته وباحترام المجتمع في خارجه •

هذا ، ويبدو أن المجتمع السومري لم يكن يتقبل التصرفات الصبيانية التي تبدر من شخص ازاء شخص آخر ، بل كان يحاسب وينتقد ويستهزيء بمثل تلك السلوكية • ففي أحد أمثالهم نجد أسلوب التهكم والسخرية والتعنيف صارخا في قولهم :

« أن تصرفاتك صبيانية ، ليست فيها رجولة أبدا ! » (٣٦)

أما أمثال مجتمعنا الحديث فلا تقل عن المثل السومري في قوة انتقادها وسخريتها من ذلك النوع من التصرف ناهيك عن التطابق فيما بينهما من حيث زاوية النقد التي ينطلقان منها في نظرتهما • ففي المثل السومري رغم أن الشخص المخاطب يبدو بالنسبة لنفسه أنه رجل متكامل بالنظر لاكتمال جسمه من الناحية الطبيعية ، الا أنه يبقى غير ذلك في نظر الاخرين عندما يكون سلوكه الاجتماعي وتصرفاته الشخصية مع الاخرين متميزا بالصبيانية وانعدام الضبط ، تماما كما هي الحال في المثل الحديث التالي :

« ثَابَتْ لِحَاهُمْ وَالْعَقْلْ مَاجَاهُمْ ! » (٣٧)

فالاشخاص الذين يتحدث عنهم هذا المثل رغم أنهم كبروا وصاروا شيبا وبذلك يفترض فيهم التعقل والتحكم والتصرف المتزن الواعي في مواجهة الامور أو لدى التعامل مع الاخرين وهو ماتفترضه هذه المرحلة من سن الانسان الا أن سلوكهم وتصرفاتهم بقيت كما هي في أيام الطفولة والتي من أبرز مميزاتها هو عدم اكتمال قوى التحكم العقلية لانها لما تزل في دور النمو •

ومن المسائل ذات العلاقة بسلوك الانسان والتي تطبع شخصيته وتحدد نوعية سلوكه هو نوعية زملائه الذين يختلط بهم وكذلك طبيعة الجماعات الذين يلتقي بهم أو يصاحبهم خلال حياته اليومية • وقد أعار لذلك كلا المجتمعين العراقيين القديم والحديث اهتماما معينا يكاد يكون متفقا في جميع أبعاده • والامثال باعتبارها الحقل الذى له تماس مباشر في حياة الفرد اليومية انعكست عليه مثل هذه الامور • ففي أحد الامثال السومرية نجد الاهتمام بذلك واضحا حيث يقول :

« من يصاحب الشخص البارز ، يعرف كشخص بارز ، ومن يصاحب الشخص الذكي ، يعرف كشخص ذكي ! » (٣٨)

أما أمثالنا الحديثة فقد جاءتنا عدة منها في هذا المضمار ويمكننا تصنيفها تحت مجموعتين :

الاولى : وفيها ثلاثة أمثال : يقول أولها :

« يُعْرَفْ المَرْءْ مِنْ جَلِيسِهِ ! » (٣٩)

أما المثل الثاني فهو من الابيات الشعرية العربية القديمة الذى ذهب مذهب الامثال وفيه يقول :

---

(٣٦) انظر : E. I. Gordon, *SP*, 1.37.

(٣٧) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ١ : ٩٦٤ • انظر ذلك : الفلامي : المردد ، ص ٧٥ •

(٣٨) انظر :
UET, VI/2. No. 297. For further treatment and comment see Al-Fouadi, *loc. cit.*, p. 56, No. 44.

(٣٩) وهو من الامثال التي تورد بالعربية الفصحى • انظر :
Al-Fouadi *loc. cit.*, No. 44 mod. (a) 1, and Appendix No. II-44.

« عَنِ المَرْءِ لا تَسْأَلْ وسَلْ عَنْ قَرِينِهِ
فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ مُقْتَدِي ! » (٤٠)

أما المثل الثالث في هذه المجموعة فهو أيضا من الامثال التراثية قديمة الاستعمال وورودها كما يتضح من صيغته بالعربية الفصحى يدلل على أن أمثال العامة لما تزل بعد قريبة من الفصحى ولم تتدن الى التصحيفات العامية التي شاعت فيما بعد • يقول هذا المثل :

« قُلْ لِي مَنْ تُعَاشِرْ ، أَقُولْ لَكَ مَنْ أَنْتَ ! » (٤١)

ومن ذلك يتضح لنا التوافق الكبير بين أمثال اليوم وأمثال الامس وبصورة خاصة في تأكيدها على نوعية الزميل أو الصديق أو المصاحب أو ما الى ذلك من الالفاظ التي تتقارب من حيث مدلولاتها العامة وكيف أن هذه العلاقة هي التي تطبع شخصية المتزاملين أو الصديقين، وهي التي تحدد انطباعات الاخرين عنهما •

الثانية : وتشتمل على مثل يقول :

« مَنْ عَاشَرَ العَالِمْ عِلِمْ ، وَمِنْ عَاشَرَ السَّفِلِي نِدِمْ ! » (٤٢)

وهنا نجد أن هذا المثل رغم تشابهه الصارخ في شطره الاول مع ما جاء في المثل السومري ، الا أن الشطر الثاني منه يعتبر في الواقع النتيجة المنطقية التي يترتب عليها مضمون الشطر الاول • وهو بذلك احتوى صراحة على جانب الصداقة الايجابي والسلبي في ذات الوقت • وبصورة عامة فمن المفيد مقارنة ذلك مع المثل الانكليزي الشائع الذى يقول : « أعْرِفِ الشَّخْصَ بالصديق الذي يحتفظ ! » •

ومن ألوان الشخصية التي عكستها لنا أمثال الامس صورة الشخص المتهور الذي يقترف عملا طائشا في فترة ما ثم ما يلبث أن تمضي عليه فترة من الوقت حتى تظهر عواقبه السيئة فيبدأ يعاني من مضاعفاته وآثاره • وفي ذلك يقول أحد الامثال السومرية :

« العام الماضي اكلت ثوما ، هذا العام بطني تحترق ! » (٤٣)

---

(٤٠) انظر : أبو زيد القرشي : جمهرة اشعار العرب ، مطبعة دار صادر ، بيروت (١٩٦٣) ص ١٦٠ •

(٤١) انظر نادرة محفوظ : التراث الشعبي : ٣/١، ص ٥٢ تحت الحرف «ق» • هذا وقد ورد في الامثال السورية مثل طريف في هذا الباب يقول : خُدْ ابنك للسوق وشوف مع مين يجلس ! » انظر ذلك في :
Huxley, *JAOS*, 23, No. 96.

(٤٢) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ٢ : ٢١٦٥ •
هذا ومما تجدر الاشارة اليه ، أن ما أورده الحنفي في صدر هذا المثل قد جاء بشكل « من عاشر العلم ••• » عوضا عن « العالم » واعتقد أن ذلك خطأ مطبعيا لم يكن الاستاذ الحنفي يقصده • كما أن الشطر الثاني من المثل خير دليل على ما نحن في صدده •

(٤٣) انظر :
W. G. Lambert, *BWL*, 243, iii, 56-59 and p. 249.

أما أمثال اليوم فيقول أحدها :

« عَنَامْ الأَوَّلْ احْتِرَكْ ، وِالسَّنَهْ طِلْعَتْ وِينْحِيتَهْ ! » (٤٤)

وهنا نجد أن كلا المثلين القديم والحديث يشيران الى الشخص الطائش الذي يعاني الان مما كان قد اقترفه بالامس من غرور وطيش • أضف الى ذلك ، فأن المثل الحديث يجوز تفسيره أيضا بشكل آخر وهو أنه يقال عندما يقوم شخص ما باحياء مساوىء وتصرفات وضغائن سابقة كانت قد صدرت في الماضي من شخص تجاه شخص آخر أي بعبارة اخرى ، عندما يحرض شخص شخصا آخر مستخدما في ذلك احياء عداوات سابقة منسية أو سوء تصرف قديم كان قد حصل بينهما في الماضي كسلاح له يشهره عندما يريد تعكير الصفو بين مجموعة من الاصدقاء أو الاقرباء •

ومن الامثال التي وردتنا في التحذير من اقتراف الاعمال المسيئة للاخرين مثل يقول :

« لاتعمل الشر ، وعندئذ لن تقاسي المـــا دائما ! » (٤٥)

ولو تصفحنا أمثالنا الحديثة لوجدنا قولا طريفا يرد عادة على افواه الاولاد الصغار ، أي هو من مقولاتهم التي يرددونها في أراجيزهم الاعتيادية والتي بالنظر لمدلولها المعبر جرت على الالسن مجرى الامثال ـ أن صح التعبير ـ أو بالاصح كقول سائر تقول هذه الارجوزه :

كُلْمَنْ يِنْتَعَدّى عَالنّاسْ ، يِاكُلْ لَهْ فَشْغَتَهْ بِالتّراسْ ! » (٤٦)

وفي هذا القول نجد مدى التشابه مع ما ذهب اليه المثل القديم وهما بالفعل متطابقان من حيث المدلول •

ومن الصور الاجتماعية المهمة التي تعكسها لنا الامثال السومرية موضوعا ورد على لسان الحيوان يتعلق بنكران الجميل • والمثل الذي عبر لنا عن ذلك يقول:

« (عندما) كان الحمار يسبح في النهر ، صعد الكلب على ظهره وتمسك به بقوة (قائلا مع نفسه) : متى يخرج حتى يؤكل ؟! » (٤٧)

أما أمثالنا الحديثة فمنها ما اتفق مع ما ذهب اليه المثل السومري آنف الذكر ومنها ما تطرف في حكمه • ومن أمثال الصنف الاول قول يورد بالعربية الفصحى وهو اكثر الامثال شيوعا في هذا الباب • يقول هذا المثل :

« اتق شر من احسنت اليه !»(٤٨)

---

(٤٤) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية ، الجزء الثاني ، ص ٢٤٦ •
ويتحويل المثل الى الفصحى يصبح كالآتي وبشكل اكثر وضوحا : «في العام الماضي كان قد أحترق ، أما هذا العام فقد ظهرت رائحته!»

(٤٥) انظر :
W. G. Lambert, *BWL*, 249, obv. II. 18-21 and p. 247.
والمثل هذا وارد في اللغتين السومرية والاكدية ، شأنه في ذلك شأن عديد من الامثال ، الا أن نصه السومري مع الاسف تآلف وبذلك فقد اعتمدت ترجمته على النص الاكدي فقط والذي هو في الحقيقة ـ كما مر معنا ـ ترجمة للنص السومري •

(٤٦) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ١ : ١٥٤١ :

(٤٧) انظر : E. I. Gordon, *SP*, 5 :42.

(٤٨) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية المقارنة : ١ : ١٧ ، التكريتي : الامثال البغدادية المقارنة ١ : ٤٤ وجواهر الأدب : ٣٣٢ : ٨٠ •

وهناك مثل حديث آخر يقول :

« لِسَوِّي المْلِيحْ ، يِتْلَكَّى القْبِيحْ ! » (٤٩)

فالمثل السومري اذ يعبر لنا عن الاماني الوقحة والنيات السيئة التي ضمرها الكلب للحمار المسكين في الوقت الذي أسدى فيه للاول صنيعا محمودا ، نجد الامثال الحديثة المذكورة اعلاه تعبر هي الاخرى عن جوهر الموضوع نفسه وتقننه بشكل قاعدة استنتاجية عامة لمجمل التجربة •

والواقع ، فأن عمل الخير والامور المترتبة عليه ، اي متى وكيف ولمن يؤدى قضايا كلها أثارت جدلا اجتماعيا لدى البشرية عبر العصور • وقد اختلفت في ذلك الاراء • وكلها بالطبع ناجمة عن تجارب الانسان مع أبناء مجتمعه • فمن الناس مثلا من يقف موقف المدافع عن مبدأ عمل الخير حتى ولو كان الجزاء سلبا ، وتحت ذلك يمكن تصنيف المبدأ الديني حيث جاء في أحد الاحاديث النبوية مايلي : « اصنع المعروف مع اهله ومع من ليس أهله ، فأن أصاب أهله فقد أصاب أهله ، وان لم يصب أهله فأنت من أهله » • هذه الروحية الصبورة المسامحة التي تنشد مبدأ أبعد من الجزاء الاني نجد ما يناقضها في التطبيقات العملية والاقوال الجارية على أفواه القوم في مجتمعنا الحديث • وعلى ذلك نراهم مثلا نتيجة تجاربهم المريرة مع أولئك الذين وقفوا الى جانبهم في أوقات المحن والازمات والذين أسدوا اليهم أجمل الصنيع وجزيوا جراء ذلك جزاء سنمار ينقلبون الى الضد فيبدأون بمراجعة انفسهم واضعين نصب أعينهم قيما جديدة مستوحاة من تجربتهم السابقة تلك هي :

« خَيرْ لَتنْسَوِّي ، شَرّْ لَتنْشُوفْ ! » (٥٠)

أو كما وردد في مثل آخر بنفس المحتوى يقول :

لَتنْسَوِّيْ زَينِّيهْ ، لَتنْصِيبَكْ أَذِيَّه ! » (٥١)

وهذا اللون من الامثال من حيث حكمها وشكلها هو ما وصفناه سابقا بـ « التطرف » •

وهناك مثل سومري على جانب مهم سواء في مبناه أو في معناه يبدو لاول وهلة مبهما غامضا حيث يقول :

« سرورهم ـ انزعاجهم ، انزعاجهم ـ سرورهم ! »(٥٢)

الا أننا لو تفحصناه مليا ، لامكننا تفسيره بعدة وجوه فهو على قصره وتركيزه بديع ومعبر بشكل يلفت الانتباه • فأذا كان المقصود به هو الحسد ، أي يشير الى أنه كيف يفرح الحاسد باحزان الاخرين أو بزوال نعمتهم فهو في ذلك ينطبق على أحد الامثال الموصلية الحديثة الذي يقول :

جَارَكْ بنْخَيرْ مَوْتَكْ اَخْيَرْ
جَارَكْ بنْشَتَرْ قَلْبَكْ مِسْتَرْ !»(٥٣)

---

(٤٩) انظر الحنفي : المصدر السابق : ٢ : ١٧٦٠ ، الدباغ : معجم الامثال العامية الموصلية ، الجزء الاول ، ص ٨٤ • ويفهم المثل بالشكل التالي :
« الذي يعمل المليح ، يتلقى القبيح ! » •

(٥٠) انظر الحنفي : الامثال البغدادية : ١ : ٧٦٢ • ويفهم المثل كالآتي : « خيرا لا تعمل ، شرا لن تر ! » •

(٥١) انظر : الحنفي : المصدر السابق : ٢ : ١٦٣٤ ويفهم المثل بالشكل التالي : «لا تعمل خيرا حتى لا يصيبك أذى ! » •

(٥٢) انظر : E. I. Gordon, *SP*, 2.125.

(٥٣) انظر الدباغ : معجم الامثال العامية الموصلية ، الجزء الثاني ، ص٥٣٦ • ولمزيد من التوضيح ، يفهم المثل كالآتي :
[عندما يصيب] جارك خير
[فتمتبر] موتك أخير
[وعندما يصيب] جارك شر
[يكون] قلبك مسترا (أي فرحا وجذلاً)

وهنا أرى أن الصيغة التي جاء بها تركيب المثل الحديث تلقي ضوءاً على طبيعة تركيب المثل السومري فكلاهما تفترضان طرفين أحدهما المحسود متمثلا في (سرورهم : في المثل السومري) وكذلك (جارك بخير : في المثل الحديث) ، والاخر الحاسد متمثلا في (انزعاجهم : في المثل السومري) وكذلك (موتك أخير : في المثل الحديث) •وما ينطبق على الشطر الاول من المثلين القديم والحديث ينطبق على الشطر الثاني (اذ هو معكوس الاول) من كل منهما •

هذا ومن الممكن تفسير المثل السومري بشكل آخر أيضا على اعتبار انه يقرر حقيقة ثابتة تلك هي « ليس كل ما يُسِرُّ شخصا ما هو بالضرورة مُسِرٌّ للاخرين » •

ومن الامور المهمة أيضا التي تطرحها أمثال الامس ، شأنها شأن بقية أمثال الشعوب ، مسألة اصدار الاحكام على الاشياء ومتطلبات ذلك ، ففي أحد الامثال السومرية جاء قوله :

« بعد أن يكون قد أكمل الخبز ، عند ذاك (فقط) دعه يصدر حكمه (عليه) ! » (٥٤)

فالتجربة والتروّي واختبار الاشياء أمور يجب ان تسبق مرحلة اصدار الاحكام سلبا أو ايجابا • والمثل بذلك يتفق وما تذهب اليه أمثالنا الحديثة بهذا الخصوص • ومن هذه الامثال أحدها يقول :

« التجربة احسن برهان ! » (٥٥)

وآخر ـ وهو من الابيات الشعرية الفصحى الذي جرى مجرى الامثال ـ يقول :

« لاتَمْدَحَنَّ امْرَءاً حَتَّى تُجَرِّبَهُ
وَلا تَذُمَّنَّهُ مِنْ غَيرِ تَجْرِيبِ ! » (٥٦)

فالامثال السالفة تلك رغم اختلافها في الصياغة اللفظية ، الا أنها تتفق جميعها في نقطة هامة تلك هي الحاجة الى التجربة والاختبار بالنسبة للشيء أو للشخص المراد تقييمه وصولا الى احكام ناضجة سليمة بعيدة عن الارتجال والتجني •

هذا ، ومن خلال أمثال الامس يتبين لنا أن المجتمع العراقي القديم لم يكن يدعو الى التواكل التام في حياة الانسان اليومية ، بل بالعكس كان يحث على العمل والاعتماد على النفس وشحذ الهمم • وصحيح ، أنه بنتيجة الصفة العامة التي تطبع مجتمع الامس باعتباره مجتمعا كان عامل الدين يلعب فيه دورا بارزا في جميع مرافق حياته اليومية يمكننا القول انه بالرغم من دعوته الى العمل واعتماد الانسان على مجهوده الشخصي وكده بعرق جبينه فانه كان يركن بعض الشيء الى ضرورة الاعتماد على الاله الا ان الانسان ، كان دوما ، قديما وحديثا ، من وجهة النظر الدينية مدعواً للعمل والكد والسعي وهو في ذلك لا يختلف

هناك ملاحظة لابد من تثبيتها هنا ، وهو اننا نعلم بأن امثالا كثيرة جدا انتقلت من هنا وهناك بين محافظات القطر وحتى خارج القطر وجرت عليها احيانا تحويرات معينة تبعا لواقع اللهجة المستعملة ، الا أنه لم نجد خلال تتبعنا للمثل موضوع البحث انتشارا ، أي أنه بقي محصورا في الموصل ولم نجده متداولا فيما عداها من مدن العراق وبصورة خاصة في المنطقتين الوسطى والجنوبية •

(٥٤) انظر :

E. I. Gordon, *SP*, 1.26 and Jacobsen's commentary on p. 456.

(٥٥) انظر :

Al-Fouadi, *loc. cit.*, p. 61, No. 50 : mod. (1).

(٥٦) انظر : Al-Fouadi, *ibid.*

بشيء عن مجتمع العراق اليوم في أمثاله كما سنرى بعد قليل •

فالمثل السومري الوارد في هذا الصدد يقول :

حَزِمْ نَفْسَكَ ! أَلٰهُكَ هُوَ مُسَاعِدُكَ !»(٥٧)

أما انعكاس ذلك فنجده في المثل الحديث التالي :

«مِنَّكْ النْحَرَكَةْ ، وْمِنْ أَللهْ النْبَرَكَهْ !»(٥٨)

ان الاشارة في كلا المثلين السالفين ، القديم والحديث هي الى ضرورة تهيئة المرء لنفسه من أجل العمل • فالحث على اعداد الانسان لنفسه من أجل العمل وبذل الهمة والسعي من أجل طلب الرزق هو بالتأكيد ضد مبدأ التواكل • ومن ذلك نجد أن المثلين يؤكدان على ضرورة الاعتماد على النفس والتحرك من أجل اداء المرء لدوره في الحياة وبذلك فقط يتحقق اسناد الاله له ومساعدته اياه •

وفي نفس المعنى وردنا ايضا مثل سومري آخر ولكن بتفصيل اكثر وفيه يقول :

« عندما تعمل بجد ، فان الهك لك ! وعندما لاتعمل بجد ، فالهك ليس لك ! » (٥٩)

أما في أمثالنا الحديثة ، فقد وردنا مثل ينطبق على المثل القديم هذا من حيث المعنى وفيه يقول :

أللهْ يْگُولْ ، گُومْ يا عَبْدِيْ وآنَا هِينَكْ ، أگْعُدْ يا عَبْدِيْ وآنَا هِينَكْ !»(٦٠)

ان الامثال السالفة ـ قديما وحديثا ـ تدعو الى نفس ما يدعو اليه المثل الانكليزي الحديث التالي : « يساعد الله اولئك الذين يساعدون أنفسهم ! »

هذا ومن الامور التي أكدت عليها أمثال العراق القديم هو مبدأ التخصص في العمل ، أي التأكيد على ضرورة مزاولة المرء فقط لما هو مؤهل له حقا • ومن ذلك ما جاء في أحد الامثال السومرية قولهم :

« الجندي يجب ألا (يحاول ان) يكون ضابطا ، الراعي يجب ألا (يحاول أن) يكون مزارعا ! »(٦١)

أما أمثالنا الحديثة فتدعو أيضا الى نفس ما تدعو اليه أمثال الامس • وقد وردتنا عدة منها ، وفي أحدها جاء قولهم :

« أَللهْ يْگُولْ ، يا عَبْدِيْ اسْمَعْ وَاعِينَكْ وْنَامْ وَاهِينَكْ ! » •

كما اورد مايسنر هذا المثل كالآتي :

"Geh, so unterstützt dich (Gott), bleib (faul) sitzen, so verachtet er dich" (see: B. Meissner, *MSOS*, 4:2, No. 58).

هذا ومن المناسب هنا أن نقرب نص المثل الى الفصحى من أجل مزيد من الفهم : « الله يقول : قم يا عبدي وانا اعينك ، واقعد ياعبدي وانا أهينك ! »

---

(٥٧) انظر :
W. G. Lambert, *BWL*, 227, ii, 29-30 and p. 230.

(٥٨) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية ٢ :٢١٨٥ هذا وقد ورد المثل نفسه بصيغة اخرى آلْعَبِدْ عَلَيهْ الْحَرَكَهْ ، وَاللهْ عَلَيهْ الْبَرَكَهْ ! » •
انظر الحنفي المصدر السابق : ١ : ١١٩٦ •

(٥٩) انظر :
W. G. Lambert, same as footnote No. 57 (:ii, 23-26).

(٦٠) انظر : التكريتي : الامثال البغدادية المقارنة : ١ : ٣٣٩ • هذا وقد أورد نفس المصدر صيغة اخرى لهذا المثل وهي بالشكل التالي :

(٦١) انظر :
E. I. Gordon, *SP*, 1.100 and Jacobsen's commentary on. p. 463.

«كُلْمَنْ لَعَبْ مِنْ غَيْرْ فَنّه تَعَبْ !»(٦٢)

وفي مثل حديث آخر يقول :

« أَنْطِي الْخُبْزْ بِيدْ خَبَّازْتَه ، لَوْتَاكُلْ نُصّه ! » (٦٣)

وخلاصة القول ، فأن الامثال ، المارة الذكر ، تشير الى ان على كل شخص أن يلتزم بالعمل الذى هو مؤهل له ، ذلك لان كل مهنة تتطلب خبرة معينة وتستلزم من أجل الالمام بها والتمرس في أدائها فترة طويلة من التدريب عليها •

وهناك أمور اجتماعية أخرى برزت في حقل الامثال ، منها تصوير المرارة التي يعانيها المرء من جراء الاستغلال الاجتماعي المتأتي من وجود التمايز الطبقي• ففي أحد الامثال السومرية صورت على لسان الحيوان حالة الانسان المستغل الذي يكدح ويشقى ومع ذلك فهو يعامل معاملة سيئةقاسية • يقول هذا المثل :

« أنا حمار للركوب (ومع ذلك ف) أنني مربوط الى جحش ، انني آجُرّ عربة وأعاني من عصا (الضرب) ! » (٦٤)

ان كلمات المثل التي وردت على لسان الحمار انما تفهم على انها تعبير مجازي يصور حالة العامل الكادح • أما صورة الاذلال والاستهانة والاستغلال الواردة في المثل فقد عبر عنها بحال الحمار الذي مفروض فيه ها أن يكون أحسن منزلة من بقية اقرانه من الحمير باعتباره مخصصا لركوب البشر فقط ، الا أنه مع ذلك، اي امعانا في الاذلال ، تراه مربوطا بـ « جحش » ، تعبيرا عن الاختلاف في منزلتيهما ، وهو ، بالاضافة الى ذلك ، يقوم بجر عربة وهو أمر آخر غير مخصص لادائه • وفوق كل هذا وذاك فأنه لم يسلم من التعنيف والعقاب المتمثل بـ « عصا الضرب » التي يبدو أنها كانت تلاحقه والتي يشكو منها في سياق كلماته •

ان انسان اليوم اذ يشكو في امثالنا الحديثة قسوة مستغليه وسوء معاملتهم له فانما يعبر هو الاخر عن سوء النظام الطبقي الذي يتفشى فيه استغلال الانسان لاخيه الانسان • صحيح أن امثال اليوم التي سنتطرق اليها بعد قليل لا تشبه من حيث الشكل المثل السومري آنف الذكر ، الا انها من حيث المضمون تتفق معه في تصوير حال الانسان البائس

---

(٦٢) انظر الحنفي : الامثال البغدادية : ١ :١٥٣٦ وفي اللهجة الموصلية فقد ورد هذا المثل بالصيغة التالية :
« آلمّا كارُوْ يِتْتَعبْ بالُوْ ! » (انظر : الدباغ : معجم الامثال العامية الموصلية ، الجزء الاول ، ص ٧٩) • ولتوضيح مفردات المثل الاخير فأن عبارة « الماكارو » تعني حرفيا « الذي ليس كارُهْ » أي « الذي يتولى أمر عمل أو مسؤولية أمر هو ليس مؤهل له أيايقع خارج اختصاصه » وعندئذ « يتعب بالو «أي « يتعب باله » بالنظر لكونه قد زج بنفسه في أمر لا يفقه هو فيه بل ويجهل أصول انجازه •

(٦٣) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ١ :٢٦٨ هذا وقد اورد المحامي حسين أحمد حاج حسن (: بغداد : ٢٧ ، ص ٣٤) هذا المثل بصيغته الموجزة كالاتي :
« أطّي آلخُبزْ لخَبّازْتَه ! »
هذا وقد أورد هذا المثل ايضا كل من « مايسنر »
(B. Meissner, *MSOS* 4 :2, No. 32).
و « چامپيون » •
(S. G. Champion, *RP*, 33 :54).
بصيغته الكاملة •

(٦٤) انظر :
W. G. Lambert, *BWL*, 242, III, obv., 25-29 and p. 249.

المغلوب على أمره وآهاته التي يطلقها تبرما بمستغليه وسارقي جهوده • ففي أحد هذه الامثال جاء قولهم :

اتْعَبْ يْناشِيجي ، للنّايِمْ مِنِتِچي ! » (٦٥)

فالصورة هنا تعكس وضع كادح يائس يخاطب نفسه قائلا « اتعب ايها الشقي من أجل ذلك النائم وهو متكيء ، تعبيرا عن الرأسمالي أو الشخص المُستَغِلّ الذى تراه مرتاحا يأخذ قسطه اليومي الكافي من الراحة والنوم ويتلذذ بثرواته التي يشقى في تهيئتها وتكثيرها له أولئك العمال المغلوب على أمرهم كما يعبر المثل عن ذلك بوضوح (والشقي هنا يقصد به الذي يشقى في عمله) •

وهناك مثل آخر في هذا الصدد يقول :

«النّطَبُلْ بْرَكْبَتَهْ ، وِالْعَوْدَهْ بِيَدْ غَيرَهْ ! » (٦٦)

والمثل هذا في غاية الطرافة ناهيك عن التعبير القوي لظاهرة الاستغلال البشعة التي يتعرض اليها شخص ما من قبل شخص آخر • فالطبال الذي يحمل الطبل ويعلقه حول رقبته ويشقى من جراء ذلك هو بالاحرى قادر على أن يضرب عليه ليؤدي المطلوب • الا أن العكس هو الحاصل ، ذلك أن شخصا آخر قد استغل ذلك المسكين فعلق الطبل حول رقبته وأخذ منه أعواد الضرب وأخذ ينقر فيه ، وبذلك سيختص ناقر الطبل وحده بالفضل والمديح والاطراء من الجمهور ، وناقر الطبل هو (ماسك العود وهو الشخص المُستَغِل)، ولن يكون أي فضل لحامل الطبل (وهو الشخص البائس المُستَغَلّ) •

هذا ومن المسائل التي تحث عليها أمثال العراق قديما وحديثا هو ضرورة التهيوء لكل عمل بما يستلزمه من وسائل وطرق وأدوات لكي يتم الحصول على نتائج ايجابية • ففي أحد أمثال السومريين بهذا الصدد جاء قولهم :

« لقد ذهب يصطاد طيرا بدون مصيده فلم يصطد شيئا ! » (٦٧)

يقابله في ذلك قول مثلنا الحديث :

« لَوْلا الشَّبَّحَهْ ، ماانْصادَتْ السَّمَّحَهْ ! »(٦٨)

ولما كان المجتمع العراقي القديم مجتمعا تتمثل فيه المفاهيم القبلية وتسود فيه العلاقات التي تستند الى ذلك ، فلا بد والحالة هذه من أن تنعكس هذه الامور على معطيات القوم الفكرية ومن ذلك حقل الامثال • ومن الامور التي انعكست عليها والتي تمثل المرحلة الاجتماعية التي كان يمر بها المجتمع السومري هو « الثأر » كما نرى ذلك بوضوح في المثل السومري الذي يقول :

« ذهبت ونهبت مقاطعة عدوك ، العدو جاء ونهب مقاطعتك ! » (٦٩)

---

(٦٥) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية ١ : ١٦ •
انظر كذلك : التكريتي : الامثال البغدادية المقارنة : ١ : ٤٨ •

(٦٦) انظر الحنفي : الامثال البغدادية : ١ : ١١٣٨ •

(٦٧) انظر :
W. G. Lambert, *BWL*, 226, ii, 4-6, and p. 230,

(٦٨) انظر الحنفي : الامثال البغدادية : ٢ : ١٧٢٣
انظر كذلك الدباغ : معجم الامثال العامية الموصلية ، الجزء الثاني ، ص ٣٧٤ •
وكلمة « السمچه » هنا تعني « السمكة » ، أما « الشبچه » فيقصد بها « الشبكة » التي تتخذ أداة لصيد السمك -

(٦٩) انظر :
W. G. Lambert, *BWL*, 245, rev. V, 14-17 and p. 250.

أما المثل الحديث الذي يمكن مقارنته به فبالرغم من الاختلاف بينه وبين المثل السومري من حيث المحتوى والاسلوب ، ألاّ انهما فعلا يتفقان من حيث المعنى • ومثلنا الحديث هذا يقول :

« بَشِّرْ القَاتِلْ بِالْقَتِلْ ! » (٧٠)

صحيح أن « الثأر » يمثل في الواقع مفهوما قبليا يسود في مجتمع يمر عبر مرحلة تأريخية معينة تتمثل فيها سيادة العلاقات القبلية ، الا أنه من الملاحظ أن هذا المفهوم مازال ذا تأثير فاعل في كثير من المجتمعات التي يفترض فيها أنها اجتازت تلك المرحلة المشار اليها ، وهي بالاحرى تعد الآن من المجتمعات المتقدمة حضاريا واجتماعيا • وتفسير ذلك يعود الى أن «الثأر» في الوقت الحاضر كمفهوم وبالشكل الذي يسود بعض العلاقات على الصعيد الدولي انما يمثل نوعا من ترسبات العقلية القديمة التي سادت في الماضي والتي وجدت جوا خصبا للديمومة بعد أن اخذ هذا المفهوم شكلا آخر في الوقت الحاضر • ومن المفيد في هذا الصدد ان نتمثل ببعض الامثال التي وردت في كلام الشعوب ، ومن ذلك قول الكاتب والشاعر الانكليزي « روبرت سوذي ـ Robert Southey (١٧٧٤–١٨٤٣ م) :

« الدم يؤدي الى دم ، الثأر يولد ثأرا (أما) الشر فلا بد أن يأتي من شر ! »(٧١) كذلك المثل الاسباني الذي يقول : « أقتل ، أما أنت فسوف تقتل ، ولسوف يقتلون ذلك الذي يقتلك ! »(٧٢)

ومن الامثال السومرية التي وردت أيضا في الثأر والمقابلة بالمثل قولهم :

« هو لا يجيب الشاتم بالشتائم ، ففي اجابته بشتيمة (ثانية) فانه سوف يجاب بشتائم (اخرى)!»(٧٣)

ومن أمثال اليوم واحد يقول :

« لِيدْكَ بابْ النّاسْ ، يدْكُونْ بابَهْ ! » (٧٤)

ان « الدق على الابواب » هنا قد استعمل بشكل مجازي للتعبير عن الشتم ، تجريح مشاعر الاخرين أو الحاق الضرر بهم أو غمز شرفهم • هذا وقد جاء مثل حديث آخر في هذا المعنى يقول :

« كَمَا تَدِينْ تْدَانْ ! » (٧٥)

---

(٧٠) انظر الغلامي : المردد ، ص ٣٨ • هذا وقد اورد ڤايسباخ
(Weissbach, *LSS*, IV, No. 144).
هذا المثل بالشكل التالي :
"Prophezeie dem Mörder die Ermordung und dem Ausschweifenden die Armut".
انظر كذلك المصادر التالية : التكريتي : الامثال البغدادية المقارنة : ١ ٤٨٧ ، الحنفي الامثال البغدادية : ١ : ٣٥٠ و الدباغ :معجم الامثال العامية الموصلية ، الجزء الاول ، ص ١١٣ •

(٧١) انظر : B. Stevenson, *HBQ*, 1708:2.

(٧٢) انظر :
R. C. Trench, *On the Lessons in Proverbs*, Redfield, New York, 1853), p. 61.

(٧٣) انظر : E. I. Gordon, *SP*, 1.82.

(٧٤) انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ٢ : ١٧٤٩ • ويفهم هذا المثل بالشكل التالي : « الذي يدق على باب الناس ، يدقون على بابه ! » •

(٧٥) انظر الحنفي : المصدر السابق ، الجزء الاول ، ص ٦ •
اما « چامپيون » فقد أورده بنفس الصيغة التي جاءت في مقدمة النص الذي ورد في الكتاب المقدس أي « لا تدينوا لكي لا تدانوا ! »
انظر : S. G. Champion, *RP*, 336:305

والواقع فأن هذا المثل هو الصيغة الموجزة للاصـــل الذي ورد في الكتاب المقدس بأسلوب النهي حيث يقول : « لا تدينوا لكي لا تدانوا • لانكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون • وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم »(٧٦) •

ومن المفيـــد هنا الاشارة الى المثـــل الانكليزي الذي ورد بهذا المعنى حيث يقول : « ان تشتم فسوف تشتم ، انه ثمرة الشتم ! »(٧٧)

هذا ، ومن الملاحظ أن التضليل وسوء القيادة الناجمين عن الجهل في الامور هما من المسائل التي حظيت باهتمام العراقيين قديما وحديثا • ومن ذلـــك نجد ما انعكس على أحد امثال القوم القديمة مـــن تصوير بديع لهذه الظاهرة الاجتماعية حيث يقول :

« غير المثقف عربة ، والجاهل طريقها ! » (٧٨)

أما أولئك الذين هم في داخل العربة فكان الله في عونهم ! وعلى أية حال ، فيمكننا تلمس حال من في العربة من خلال أمثال مجتمعنا الحديثة حيث يقول أحدها ـ وقد ورد بشكل بيت من الشعر جـــرى مجرى الامثال ـ :

« اذا كان الغراب دليل قوم
يدلهم على أوض الخراب ! » (٧٩)

ان المثل هذا قد ورد أيضا بصيغ تختلف بعض الشيء عما سبق • ومن ذلك ما أورده عبدالرحمن التكريتي بالصيغة التالية :

« ومن يكن الغراب له دليلا
يمر به على جيف الكلاب ؟ » (٨٠)

وكذلك بصيغة :

« من صار دليله الغراب طاح في الجيف ! » (٨١)

ومن الصيغ الاخرى أيضا لهذا المثل هو ما أورده الدكتور حسين علي محفوظ بالشكل التالي :

« من كان دليله البوم مأواه الخراب ! » (٨٢)

ان جميع الامثال المذكورة تقرر أن القائد الجاهـــل والدليل الغبي يؤديان بمن يتبعهما الى مزالق خاطئـة ودروب غامضة • وهي بذلك انما تدعو بشكل غير مباشر الى ضرورة عدم ترك الامور بأيدي قائد غير قدير •

ومن بين النماذج التي تستحق الاهتمام فـي السلوك الاجتماعي هو صديق السوء الذي يعمل على ايذاء صديق طيب له كان قد وثق به وأمن جانبه ، وذلك بدفعه حيلة وخداعا الى القيام بأمور لا يلـق منها الا الضرر ولا يجني سوى الخيبة والوبال • وقد

---

(٧٦) انظر : الكتاب المقدس ، انجيل متى : ٧ : ١ ، ٢ •

(٧٧) انظر :

E. I. Gordon, *SP*, The commentary on proverb 1.82.

(٧٨) انظر :

W. G. Lambert, *BWL*, 260, obv. 6-7, and p. 262.

(٧٩) انظر : التكريتي : الامثال البغدادية المقارنة : ١ : ١٤٦ • ويذكر التكريتي أن هذا البيت من الشعر رغم شيوعه وكثرة تردده في كـلام الناس الا أنه من النادر أن تجده مدونا في المجموعات الادبية (انظر نفـس المصـدر : هامشي ٢ ، ٣) •

(٨٠) انظر : التكريتي : نفس المصدر السابق •

(٨١) انظر : الدكتور حسين محفوظ : التـراث الشعبي : ٣/٢ ، ص ٦ • انظر كذلك :

S. G. Champion, *RP*, 339 :424.

(٨٢) انظر :

W. G. Lambert, *BWL*, 245, rev. IV., 46-50, and p. 250.

صور لنا مثل سومري بشكل مؤثر حال الشخص المخدوع الذي يظهر في المثل وهو يتحدث الى نفسه قائلا :

« لقد دفعوا بي الى تحت الماء وخاطروا بحياتي ، فلم أصطد سمكا وفقدت ملابسي ! » (٨٢)

أما انعكاس هذه الظاهرة على أمثالنا الحديثة ، فقد ورد الينا في ثلاثة أمثال تشبه الى حد كبير ما أورده لنا المثل السومري • ومن هذه الامثال واحد يقول :

« حَطّوْهْ بِالْتَّنْكَبْ ، وصاحَوْا عَلَيْـــــهْ حَرامِيْ ! » (٨٣)

ففي المثل السومري كان أصـــدقاء الشخص المخدوع قد هيأوا له جوا نفسيا معينا للنزول الى النهر وهكذا خاطر بحياته أملا في الحصول على السمك الا ان النتيجة كانت سلبية ،والأنكى من ذلك انه فقد ملابسه ، ومن يدري ربما أولئك الذين دفعوا به الى الماء هم أنفسهم الذين دبروا سرقة ملابسه !؟ وعلى أية حال ، نلاحظ من الناحية الاخرى أن أصدقاء صاحبنا في المثل الحديث حبذوا له فكرة السرقـــة وهيأوا له فتحة في جدار الدار التي نووا سرقتها • وحالما أدخلوه في الفتحة المذكورة أخذوا يعلنون صارخين : حرامي ! وذلك بغية التنكيل به وتشويه سمعته •

وفي مثل حديث آخر يقول :

« ماصِنْدنا شَيءْ وَالّذِيْ كانَ مَعَنْـــــــا أَفْلَتْ ! » (٨٤)

نجد أنه ينطبق بشكل واضح على الشق الاخير من المثل السومري • يشبهه في ذلك مثل حديث آخـر يقول :

« شَيْ مانَا بَنا غَيرْ تَمْزِيقْ تْيابْنَا ! » (٨٥)

وأغلب الظن أن المثلين الاخرين من المحتمل جدا انهما يخفيان ورائهما قصة تعكس فيما تعكس مابدأ به المثل السومري •

وفي الختام فقد أسلفنا القول بان الامثال هي في الواقع حقل واسع تنعكس عليه شتى انواع تجربـة الانسان اليومية ومعايشته الحياة بكافة منحيها • وأمثال العراق القديم وأخص بالذكر منها السومرية بالرغم من توفر مجاميع عديدة منها ، الا أن غزارتها لا تحل لنا المشكلة الاساسية تلك هي الصعوبة التي تكتنف الامثال مبنى ومعنى لدرجة يعجز عن فهمها في غالب الاحيان اكثر الباحثين دقة وأوفرهم اطلاعا • وهـذا بالطبع ناجم عن الغموض الذي مازال يلف قســما لا يستهان به من لغة القوم وبالتالي بعض جوانب حضارتهم •

هذا ، وآمل ان اوفق الى القيام بنشر ما يتيسر لدي من مادة ـ وهي كثيرة ـ في هذا الحقل ســـواء كانت على صعيد الدراسة المقارنة أم دراسة لامثال جديدة تنشر لاول مرة ، وأرجو أن يتم ذلك في القريب العاجل حتى تسهم في القاء بعض الضوء على حضارة مجتمعنا القديم وثقافته وأدبه •

---

(٨٢) انظر : عبداللطيف الدليشي : الامثال الشعبية في البصرة : ٢ : ٧٨٦ • (تحت الطبع : بتفضل كريم من الاستاذ الدليشي) • ولمزيد من الفهم فلا بد من شرح بعض مفردات المثل : « حطوه » أي «وضعوه» ، أما كلمة «النكب» فتعنـــى «الفتحة» وجاء استعمالها للدلالة على الفتحة التي يعملها السراق في جدران المنازل التي يشرعون بسرقتها •

(٨٤) انظر الدكتور حسـين محفـوظ : التـراث الشعبي ، ٣/٢ ، ص ٧ •

(٨٥) انظر : نادره محفوظ : التراث الشـــعبي : « أمثال الهرمل » ، ١/٣ ، ص ٥١ •

فهرس بالمصادر والمختصرات

١ ـ المصادر العربية :

الشيخ جلال الحنفي :

« الامثال البغدادية » ـ مطبعة أسعد ـ بغداد • وهما جزءآن : الاول طبع سنة ١٩٦٢ والثاني سنة ١٩٦٤ •

محمد رؤوف الغلامي :

« المردد من الامثال العامية الموصلية » ، بغداد سنة ١٩٦٤ •

عبدالخالق الدباغ الهذلي :

« معجم الامثال العامية الموصلية » ، الطبعة الاولى ـ مطبعة الهدف في الموصل، سنة ١٩٥٦ •

عبدالرحمن التكريتي العميد المتقاعد :

« الامثال البغدادية المقارنة » الجـزء الاول ـ مطبعة العاني ، بغداد ـ ١٩٦٦

الدكتور حسين محفوظ :

« أمثال العامة » (مجلة التراث الشعبي : « المجلد الثاني ، العدد الثالث ص ٦ـ٨، بغداد ـ كانون الثاني سنة ١٩٦٥) •

نادره محفوظ :

« أمثال الهرمل » (مجلة التراث الشعبي: المجلد الثالث ، العدد الاول ، ص ٥١ ـ ٥٢ ، بغداد ـ حزيران سنة ١٩٦٦ •

حسين احمد حاج حسن المحامي :

« الامثال بين العامية والفصحى » (مجلة بغداد : العدد ٢٧ ، صـن ٣٤ ـ ٣٥ ، بغداد ـ أيلول سنة ١٩٦٦ •

٢ ـ المصادر الاجنبية :

Al-Fouadi : Abdul-Hadi A. Al-Fouadi, *Seventy-Five Sumerian Proverbs and Their Modern Iraqi Counterparts : A Comparative Study*, (an M. A. Thesis presented to the University of Pennsylvania in 1967-unpublished).

BWL : W. G. Lambert, *Babylonian Wisdom Literature*, The Clarendon Press, Oxford, 1960.

HBQ : B. Stevenson, (ed.), *The Home Book of Quotations*, Dodd, Mead and Company. New York, eigth edition, 1956.

JAOS 23 : H. M. Huxley, "Syrian Songs, Proverbs, and Stories," *Journal of American Oriental Soceity*, vol. 23, Second Half, pp. 175 ff., New Haven, 1902.

JAOS 52: E. Robertson, "Rain, Dew, Snow, and Cloud in Arab Proverbs," *JAOS*, vol. 52, No. 2, pp. 145 ff., New Haven, 1932.

LSS : F. H. Weissbach "Beiträge zur Kunde des Irak-arabischen," *Leipziger Semitische Studien*, vol. IV, pp. 166-196, Leipzig, 1908-30.

MSOS : B. Meissner, "Neuarabische Sprichtwörter und Räthsal aus dem Iraq," *Mittheilungen des Seminars für Orientalische Sprachen*. Vol. 4 :2, (1901), pp. 137-174.

RP : S. G. Champion, *Racial Proverbs*, Barnes & Noble, Inc., New York, Reprinted, 1966.

SP : E. I. Gordon, *Sumerian Proverbs : Glimpses of everyday Life in Ancient Mesopotamia*. The University

Museum, University of Pennsylvania (Museum Monographs), Philadelphia 1959.

SP 4 : E. I. Gordon, "Sumerian Proverbs: 'Collection Four'," *JAOS*, vol. 77, No. 2, 1957.

SP 5 : E. I. Gordon, "Sumerian Animal Proverbs and Fables: 'Collection Five'," *Journal of Cuneiform Studies*, vol. XII, No. 1, 1958.

UET : *Ur Excavations Texts*' London.

أقدم حرب للتحرير

عرفها التاريخ

بقلم : الدكتور فاضل عبدالواحد علي

كلية الآداب ـ بغداد

« اذا كسف القمر في اليوم الرابع عشر من شهر تموز فهو نذير للملك الكوتي : سوف يسقط الكوتيون في المعركة وتتحرر البلاد » .

فال بابلي

مقدمة :

يزخر التاريخ القديم والحديث على حد سواء باخبار حروب تكمن وراءها دوافع مختلفة لايسعنا المجال حصرها . ومهما كانت الاسباب وتعددت الدوافع فان حروب التحرير تبقى تحتل مكانة خاصة تميزها عن الحروب الاخرى في التاريخ ،ذلك لان حروب التحرير انما تستمد قوتها من ايمان الشعوب في حريتها وفي رفضها سيادة الاجنبي على أرضها .وهي لذلك تمثل نضال الانسان في اشرف دوافعه وأنبل صوره ، كما انها كانت منذ فجر التاريخ وما زالت حقا مشروعا تمارسه الشعوب في سبيل استعادة حقوقها وواجبا مقدسا ينبغي على اية أمة ان تتحمل أعباءه .

ان الحديث عن اقدم حرب للتحرير عرفها التاريخ يقودنا الى وادي الرافدين والى الجزء الجنوبي منه على وجه التحديد . ففي هذه المنطقة التي عرفت ببلاد سومر نشأت وتطورت مفاهم ومنجزات حضارية كانت على قسط كبير من الاهمية في تطوير البشرية فكريا وماديا . وقد استطاع الاستاذ كريمر في كتابه ذائع الصيت والموسوم

« التاريخ يبـدأ في سـومر »[1] ، ان يثبت بالوثائق السـومرية مدى الشـوط الذى كان قد قطعـه السومريون في المجال الحضاري ومدى السبق الذى أحرزوه في ابتداع المقومات الاساسية للحضـارة • فمن خلال دراسته المستفيضة للوثائق السـومرية ، استطاع الاستاذ كريمر ان يبين كيف ان بلاد سومر شهدت ، على سبيل المثال لا الحصر ، أقدم المدارس التعليميـة ، وأقدم ممارسـة لمفهوم الديمقراطيـة ، وأقدم تشريع يحدد حقوق وواجبات المواطن ، وأقدم فهرست للمكتبات وأقدم وصفة طبية ••• ونستطيع أن نضيف نحن الى قائمة الاسـتاذ كريمر الطويلة فنقول ان السـومريين خاضوا أقدم حرب للتحرير عرفهـا التاريخ مضـيفين بذلك مأثرة اخـرى الى ما حققـه السومريون من منجـزات ضربوا خلالها أروع الامثلة على الابداع والعطاء •

مصادر البحث :

تتكون مصادرنا عن حرب التحرير موضوعة البحث وعن الظروف والملابسـات التاريخيـة التي سبقتها وعاصرتها من نصوص مسمارية يمكن حصرها فيما يلي :

١ ـ نصوص معاصرة وخاصة تلك التي تعود الى نهاية حكم السلالة الاكدية والتي تسلط الاضواء على الاسباب التي أدت الى انهيار هذه السلالة العظيمة تحت وطأة الغزو الكوتي •

٢ ـ قائمة الملوك السـومرية التي وردت فيها اشـارة مهمة الى الاوضـاع السياسية المرتبكـة ابان الحكـم الكوتي ٣ ـ بعض التأليـف ذات الطابع الادبي التي تتحدث عن الظروف التي أحاطت انهيار الامبراطورية الاكدية وعن الحالة السيئة التي آلت اليها البلاد بعد ذلك ٤ ـ وثيقـة سومرية عن حرب التحرير التي خاضها الملك السـومري اوتوحيكال ضـد الكوتيين (ويجد القارىء نصها في نهاية هـذا البحث) ٥ ـ اشارات في كتب التقاويم ونصوص الفأل البابلية •

ظروف البلاد السياسية قبل اندلاع الحرب :

من المعـروف ان النصف الجنوبي من وادي الرافدين وهو ما يصـطلح على تسميته ببلاد بابـل ينقسـم من الوجهة الجغرافية ـ التاريخيـة الى وحدتين هما : سـومر في الجنوب وأكد الى الشمال منها • ومن المعروف أيضا عن السومريين والساميين انهم عاشوا جنبا الى جنب في هـذا النصف الجنوبي من وادي الرافدين منذ أقدم العصـور وانه بحكـم تجاورهم وتعاصرهـم فقد حدثت تفاعلات بين كثير من المفاهيـم والافكار الخاصـة بهذين الشـعبين في مجالات عديدة مثل اللغة والكتابة والادب والمعتقدات الدينية والتشريع وفي جوانب حضارية اخرى [2]

وقد اسـتطاع السـومريون في خلال الفترة المعروفة بعصر فجر السلالات (٢٧٠٠ ـ ٢٣٧٠ ق٠م)

Kramer, History Begins At Sumer, London (1958).

(٢) حـول تعـاصر السومريين والساميين في جنوب وادي الرافدين منذ أقدم العصور والتأثيرات المتبادلة بينهما ، يراجـع كتـاب المؤتمـر الـدولي للآشوريات بعنوان :

Sumero-Akkadean Interconnections, Recontre Assyriologique Internationale 9 (1960), Geneve.

أن يقيموا دويلات مدنقوية كان من أبرز عواصمها كيش ، الوركاء ، أور ، لكش واوما • واستطاع امراء وملوك بعض هذه السلالات من أن يمدوا نفوذهم الى مناطق واسعة خارج بلاد سومر فوصلوا الى عيلام في ايران والى جبال الارز في لبنان • على انالفضل في توحيد البلاد وفي اقامة أولامبراطورية في وادى الرافدين يعود من دون شك الى سرجون الاكدى (٢٣٧١ – ٢٢١٦ ق•م) الذى كان حكمه فاتحة عصر زاهر قطعت فيه البلاد شوطاً بعيداً في التقدم في الميادين الادارية والتجارية والعسكرية •

خلف المؤسس سرجون في الحكم عدد من الملوك الاقوياء ممن اتبعوا سياسته في تطوير النظام الاداريوالاقتصادى وفيتوسيع قواعدالامبراطورية• وكان من أشهر اولئك نرام – سن ، الملك الرابع (٢٢٩١ – ٢٢٥٥ ق • م)الذى مد نفوذه الىأرجاء بعيدة من الشرق الادنى القديم والذى تركت شخصيته أثراً بارزاً في التراث الاكدي • وبعد ان حكم نرام – سن ستة وثلاثين عاما خلفه أبنه شاركليشاري الذى قدر لعهده أن يكون حافلا بأحداث كانت على جانب كبير منالاهمية والخطورة بالنسبة للامبراطورية الاكدية •

تشير الوثائق المسمارية الى ان الامبراطورية الاكدية بدأت تتعرض الى ضغوط عسكرية خارجية للاطاحة بحكم الملك شاركليشاري (Shar-Kali-Sharri) وذلك فيالسنوات الاولى من حكمه ، اذ تحركت جيوش العلاميين ودخلت الاراضى الاكدية من جهة الشرق ، وقد تصدت لها جيوش الملك الاكدى عند مدينة اكشاك (Akshak) ولعلها الموقع المعروف بتل عمر حاليا) وأجبرتها على التراجع • وفي تلك الاثناء تفجر الوضع على الحدود الغربية أيضا مما اضطر شاركليشاري الىأن يخوض معركة اخرى مع قبائل المارتو (Martu) السامية التي كانت تستوطن مرتفعات جبل بشري الممتدة باتجاه ضفة الفرات اليمنى في الاراضى السورية • والحقيقة هي ان قبائل المارتو هذه كانت تشكل دائما خطرا كبيرا على المدن السومرية والاكدية ولذلك فقد كان الملوك السومريون والاكديون والبابليون من بعدهم مضطرين الى شن الحروب على قبائل المارتو • وقد قدر لهذه القبائل فيما بعد ان تلعب دورا مباشرا واساسيا في اسقاط واحدة من أعظم السلالات السومرية التي عرفها التاريخ تلك هي سلالة اور الثالثة (٤) •

على أن الخطر الاكبر الذى لاقته الامبراطورية في زمن الملك شاركليشارى جاء من جهة الشمال والشمال الشرقي أي من جبال زاكروس • اذ من

---

(٣) يجد القارىء تفاصيل وافية في ضوء آخر البحوث المسمارية والاثرية عن الامبراطورية الاكدية منذ نشأتها وحتى الغزو الكوتي في فصل للاستاذ Gadd في :

Cambridge Ancient History (third edition), pp. 417-461.

(٤) حول قبائل المارتو ، أي البدو الامورين في النصوص المسمارية التاريخية والادبية ، يراجع:

Edzard, Die Zweite Zwischenzeit Babylonien, Wiesbaden (1957), pp. 30-49.
Kupper, Les nomades en Mesopotamie, (1957), pp. 149 ff.

أما بخصوص دورهم في اسقاط سلالة أور الثالثة كما يتضح ذلك في المراسلات الرسمية للملك ابي – سن وحكام مدنه ، فيراجع بحث الكاتب الموسوم :

"Two Collections of Letters", Archiv Orientalni, 33 (1965), pp. 520-540.

المعروف انالملوك الاكديين وجدوا انفسهم مضطرين الى شن حـروب رادعـــة ضد القبـائل التي كانت تستوطنهذه المناطق مما استنزف بالطبع قسطا كبيرا من قوة الامبراطورية وخاصة في حربها مـع قبائـل لولوبو • وبالاضافة الى هؤلاء فقد كان الكوتيون ، وهم من القبائل التي سكنت في تلك المرتفعات ايضا، يتحينون الفرصة للاطاحة بالامراطورية الاكديـــة ولهذا جرد الملوك الاكديون حملات عسكرية ضدهم في مناسبات عديدة • وفي وسط كل الاضطرابات ، في الغرب وفي الشـــمال والشـــمال الشـــرقي مـــن الامبراطورية جاءت نهاية الملك شار كليشاري في ثورةحدثت ضده في قصره ،وذلكفيحدود عام٢٢٣٠ ق•م بعد حكم دام خمسة وعشرين سنة(٥) •

الكوتيون في الحكم :

لقد انتهز الكوتيون ارتباك الاوضاع في العاصمة أكد فقاموا بهجـوم عنيـف عـلى المـدن الاكديـة فاكتســـحوها وكانـت العاصمـة أكـد من ضمنها دون ان نعرف لحد الان اية معلومات عن الملابسات والظروف التي أحاطت بالجيش الاكدي ولا عـن حجم المقاومة التى أبداها ضد القبائل الغازية(٦) •

ومن الواضح ان الصدمة التي نتجت عن الغزو الكوتى كانت عنيفة وخاصة في مراحلها الاولى والتى تسببت في تدمير العاصمة اكـــد تدميرا كامـلا وفي احتلال المدن الرئيسة • وكانت السنين الثلاثة الاولى من الاحتلال الكـوتي (٢٢٢٩–٢٢٢٧ ق • م) تمثل فوضى سياسية بكل ما في هـذه الكلمة من معنى • ونستطيع القول في ضوء الادلة التاريخية ان الكوتيين لم يستطيعوا بصورة عامة ، على الرغم من انتصارهم العسكري ، من ترسيخ نفوذهم والهيمنة على البلاد• كما يظهر ان حكمهم كان متركزا في مدن اكد شمالا اكثرمما هو فيالمدن السومرية الى الجنوب • ويمكن القول ايضا ان الكوتيين ، وهم قبائل غير متحضرة لم تألف او تمارس نظاما متطورا للحكم ولم يكن يهمهم تنظيم واحكام سيطرتهم السياسية على البلاد بقدر ما كانيهمهم جباية ونهب خيراتها •

ان هذه الحقائق هي التي تفسر ظهور عدد من الملوك الاكديين في الميدان السياسى مجدداء ولانشك في ان هؤلاء كانوا تحت وصاية الحكم الكوتي غير انه مما يلفت النظر حقا ان بعضا من هؤلاء الملوك مثل شدرول (Shudrul) قد حكم فترة طويلـة (٢٢٠٥–٢١٩١ ق•م) وانه تمكن من ان يمد نفوذه الى منطقة أشنونا(٧) •

اما الى الجنوب فيظهر ان وطأة الحكم الكوتي كانت اخف نسبيا ، مما سمح بدوره الى ظهور سلالات

---

(٥) يذكر احد نصوص الفأل البابليـة عـن الملك شاركليشاري أن خدم قصره قتلوه ضربا برقم الطين ، انظر :

Goetze, "Historical Allusions in Old Babylonian Omen Texts", Journal of Cuneiform Studies, Vol. 1 (1947) pp. 253 ff.

(٦) يراجع بشأن الاسباب التي ادت الى سقوط الامبراطورية الاكدية :

Speiser, "Some Factors in the Collapse of Akkad", Journal of American Oriental Souiety", Vol. 62 (1952), pp. 97-101.

ثم انظر الحاشية (١٤) حول التفسير الديني القائل بأن سقوط اكد كان بسبب لعنة الآلهة •

(٧) حول مزيد من التفاصيل ، راجع الصفحة (٤٥٧) في المرجع المشار اليه في الحاشية (٣) •

محلية سومرية مثل السلالة الرابعة في مدينة الوركاء والسلالة الثانية في مدينة لكش • ويتضح من الوثائق السومرية التي تعود الى زمـن أمراء سـلالة لكش الثانية ، وخاصة تلك التى ترجع الى الامير كوديـا (Gudea) في حدود ٢١٢٥ ق • م) ، ان الامـراء السومريين استطاعوا على الرغم من الوجود الكوتي ان يقوموا بالاعمال العمرانية وان ينجزوا الحملات التجارية [٨] وحتى العسكرية[٩] الى خـارج بـلاد سومر •

ولقد استطاع الكوتيـون التمسك بالحكم في وادي الرافدين مدة طويلة نسبيا تقرب من قرن من الزمن (٢٢١١-٢١٢٠ ق • م)تعـاقب خلالهـا على الحكم واحـد وعشـرون ملكـا لانعرف عنمعظمهم سوى الاسماء • ومن المعروف عن الكوتيين انهـم كانوا حضاريا أوطأ بكثير من البلاد التي احتلوها • ولـذلك فانهم كانوا دائمـا تحت تأثيرات مقوماتهـا الحضاريةحتى اننا نجد ان بعض ملوكهم المتأخرين يتسمون باسماء سـامية كما انهم تأثـروا بالمعتقدات الدينية التي كانت سائدة بين السومريين والاكديين •

تعسف الكوتيين وارتباك الاوضاع :

تعتبر فترة حكم الكوتيين من الوجهة التاريخية من أولى الفترات المظلمة في وادي الرافدين • فهي فترة تتميز بندرة واضحـة في الكتابات التاريخيـة وبغموض يكتنف الاوضاع السياسية ، وأهم مـن هذا وذاك فانها فترة توقفت فيها عجلة التقدمالحضارى لفترة قرنمن الزمن فيالمجالات الحضارية : المعمارية والفنية والفكرية • ومما تجدر ملاحظته عن هـذه الفترة انـه لم يصلنا من الملوك الكوتيين انفسهم شيئا يستحق الذكر ، كما ان المصادر المسمارية المتوفرة من المدن السومرية التي عاصرت حكمهمتغفل ذكرهم بشكل واضح[١٠] مما يدل على كراهية سكان البلاد لهم وان طمس او اغفال اخبار الغزاة المحتلين من

---

(٨) تدل العمليات التجارية التي يذكرها كوديا في كتاباته على قسط كبير من الاستقلال الذاتي • فمن أجل بناء معبدالاله ننكرسو فيمدينة لكش يقول كوديا أنه جلب الصناع والفنيين من عيلام ، وجلب الحجـر واللازورد من مكان (Magan) وملوخا (Melukha) والبرونزمن كيماش(Kimash)انظر على سبيل المثال العمود الرابع عشر من الاسطوانة لكوديا : B

Falkenstein und Von Soden, Sumerische und Akkadische Hymnen und Gebete, Zurich (1953), p. 179.

(٩) أن الحملة العسكرية الوحيدة التي ذكرها كوديا فى كتاباته كانت ضد مدينة انشان في عيلام • وقد جاء ذكرها في نص مدون على تمثاله B (العمود السادس ، السطر الرابع والسـتين) المحفوظ في متحف اللوفر •

(١٠) اذا استثنينا وثيقة الملك اوتو حيكال الذي قام بمحاربة الكوتيين فان الاشارة الوحيدة اليهم فى نصوص حكام دويلات المدن التي عاصرتهم جاءت من زمن نمحاني (Namhani) أحد أمراء سلالة لكش الثانية • اذ أن هذا الامير أرخ أحـد نصوصـه الكتابية باسم أحد ملوك الكوتيين وهو يارلكـان (Yarligan). وقد استنتج الاستاذ كريمر (The Sumerian, p. 67) من ذلك بأن نمحاني ينبغي أن يكون خائنا متواطئـا مـع الكوتيين • وعلى الرغم من أنه ليس لدينا دليلا اكيدا على ذلك فأن أنفراد نمحاني عن غيره من الامراء الذين عاصروا حكم الملوك الكوتيين أمر يلفت نظر الباحـث ويدعو الى التساؤل ، ذلك لانه من المتعارف عليه في وادي الرافدين أن حكام وأمراء المدن اذا ما أرخو بأسم الملك فأن ذلك يعني الاعتـراف الصريـح بسـلطته وبالتبعية له •

جانب المؤرخين المعاصرين لهم في البلاد المحتلة كان ايضا ظاهرة واضحة في وادي النيل بالنسبة للمحتلين الهكسوس •

ولكن وعلى الرغم من الندرة الواضحة فـي المصادر عـن الكوتيين فـان هناك اشـارات في بعض النصوص المسمارية واغلبها مكتوب بالسومرية والتي يتمكن المؤرخ المعاصر من خلالها اعطاء صورة عامة عن الاوضاع في العراق القديم خلال الحكم الكوتى• فيظهر اولا ان الانهيار المفاجيء للامبراطورية الاكدية على يد قبائل غير متحضرة لم تمارس من قبل نظاما متطورا للحكم قد أدى ، وخاصة في مراحل الغـزو الاولى ، الى فوضى سياسية وارتباك في السلطة لـم تشهدله بلاد سومر واكد مثيلا في تاريخها •ولعل خير ما يستشهد به هنا العبارة المأثورة والساخرة لاحـد المؤرخين القدامى من وادي الرافدين التي قـال فيها عن هذه الفترة بالذات :ـ

« (ترى) من كان ملكا وان لم يكن ملكا ؟
هل كان ايكيكي (Igigi) ملكا ؟
هل كان نانوم (Nanum) ملكا ؟
هل كان ايمي (Imi) ملكا ؟»[١١]

انعكاس تردي الأوضاع في المراسلات الخاصة :

ونقـرأ في رسـالة تعـود الى زمـن الملك شاركليشاري ، أي الى الفترة التي سبقت سقوط الامبراطورية الاكدية مباشرة ، ان الكـوتيين كانوا يهجمون عـلى الحقول وينهبون ماشـية الفـلاحين ويخربون المزارع من دون ان يستطيع أحد ان يقول كلمة لهم على حد تعبير الرسالة • فها هو رجـل اسمه اشكون ـ دكان (Ishkun-Dagan) يقول في رسالة بعث بها الى رجل يدعى لوكال ـ را (Lugal-ra) : -

«من اشكون ـ دكان الى لوكال ـ را : احرث حقلك واحرس ما شتيك • وقبل كل شيء لاتقل لي ان الكوتيين مـن حولي وانني لا اسـتطيع حـرث الحقل ••• واذا ما حاول الكوتيون الهجوم عليك فاجلب كل الماشية الى المدينة (لانه) عندما أخذ رجال من الكوتيين الماشية (مني) في السابق فانني لم استطع ان انطق بكلمة واحدة • لقد كنت أعطيك فضـة دائما (مقابل الاضرار) • غير انني الان اقسم بحياة الملك شاركليشاري انه اذا ما اخذ رجال من الكوتيين الماشية ولم تستطع ان تدفع لي من جيبك الخاص ، فاني لن أدفع لك فضة عندما آتي الى المدينة • والان أرجوك ان تحرس الماشية •••»[١٢] .

دلائل أثرية وكتابية أخرى :

وتشير الدلائل الاثرية ايضا الى ان الكوتيين كانوا يخربون المدن وينهبون ثرواتها وحتى ان بعض المعابد لم تسلم من أيديهم مثل معبد الالهة عشتار في العاصمة آشور[١٣] .

وتنعكس الفوضى التي عمت البلاد من جراء الغزو الكوتي في تأليف سومرى ادبي يذكـر وحشيتهم وكيف انهم احتلوا البـلاد باعـداد كبير وكأنهم جراد وكيف ان بطشهم لم يسلم منه أحد

---

(١١) Jacobsen, The Sumerian King List, Chicago (1939), pp. 113-115.

(١٢) Oppenheim, Letters from Mesopotamia, Chicago (1967), p. 71-72.

(١٣) Cambridge Ancient History, (third edition 1964), p. 457

وانهم عطلوا المواصلات على الطرق والملاحـة في الانهر واخذوا الاغنام والماشية من حظائرها ووضعوا الرقباء وقطاع الطرق في انحاء البلاد ... :ـ

«شعب لايخضع وبلاد (شعبها لا يحصى) ،
بلاد الكوتيين ، البلاد التي لايكبح جماحها
البلاد التي وعيها (؟) انساني والتى .....
(هؤلاء) جاء بهم انليل من الجبال
وباعداد ضخمة فغطوا الارض كالجراد .
وامتدت أيديهم اليه (شعب سومر ؟) في السهل
كانها مصيدة للبهائم (؟)
فلم يفلت من يدهم شيء
ولم يهرب من يدهم احد .
فلم يعد الرسول يسير على الطريق
ولم يعد الملاح يمخر بقاربه النهر
والـ ... ماعز الاله انليـل التي افلتت مـن حظائرها
جعلها راعيهم (الكوتيون) تتبعه ،
والابقار التي افلتت من حظائرها
جعلها راعيهم تتبعه ،
وعلى الاشجار (؟) على ضفاف النهر وضـع الرقباء .
وعلى الطرقات أقيم اللصوص ،
وفي مداخل بوابات البلاد اصبحت الابواب مغطاة بالتراب .
واطلقت كل البـلاد صرخـــة حـزن مـن اسوارها ...[١٤]»

حـرب التحرير :

لم تكن سلالة لكش الثانية التي عاصرت حكم الكوتيين من القوة بحيث تستطيع اعادة توحيد البلاد وشن حرب للتحرير وعلى الرغم مما أظهره بعض امرائها من امكانيات في الميدان الحضاري والتجاري وحتى العسكرى ، فقد بقيت الحال في سومر واكد على النحو الذى جئنا على تفاصيله الى حدود سـنة ٢١٢٥ ق . م .وهي السنة التي ظهـر فيهـا زعيم سومري في مدينـــة الوركـاء اسمه اوتو ـ حيكال (Utuhegal) الذى قدر له ان يضيف مأثرة جديدة ومجدا خالدا الى مآثر وامجاد ملوك هذه المدينة ممن سبقوه من امثال انميركار (Enmerkar) ولوكال‌بندا (Lugalbanda) وكلكامش (Gilgamesh)

لا نعرف في الوقت الحاضر شيئا عن الظروف التي ساعدت ومهدت الطريق لهذا الزعيم السومرى على تسلم مقاليد الحكم في مدينة الوركاء . ولنـا ان

---

(١٤) أن المقطع الذي اقتبسناه في اعلاه هو في الواقع جزء من قصيدة سومرية تعارف الباحثـون على تسميتها بـ (لعنة أكد) وتحمل القصيدة فى أبياتها حقدا عميقا على نرام ـ سن ، رابـع ملـوك السلالة الاكدية الذي جوزت له نفسه ، بموجب هذه القصيدة ، أن يقدم على تخريب معبد الاله انليل في مدينة نفر والتي تعتبر من أشهر المراكـز الدينيـة السومرية . وتصف القصيدة كيف أن الملك الاكدي اطلق العنان لجنوده الذين دخلوا المعبـد وانتهكـوا حرمته وهدموه بالفؤس . وكان ذلك مدعاة ، من وجهة نظر الشاعر السومري ، الى سخط وغضـب الالهـة كلها التي اجمعت على انزال اللعنة عـلى العاصـمة الاكدية ، ويقول الشاعر السومري أن حكم الآلهـة قد تحقق بالفعل . وبتعبير آخر فأن سقوط العاصمة أكد وأفول مجدها انما يعزى ، الى غضب الآلهـة ، وهو تفسير كثيرا ما يجده الباحـث في النصـوص الادبية لوقائع تاريخية لم يكن للآلهة السومرية يـد فيها بالطبع ، انظر :

Kramer, "The Curse of Agade", Ancient Near Eastern Texts (Third edition 1969), pp. 646-651.

نفترض من دون شك ان سوء الاوضاع السياسية المتمثل بحكم الاجانب الكوتيين كان عامـلا محفزا ومساعدا على تكوين جبهة داخلية قوية مـن المدن السومرية وعلى قيادتها الى النصر الخالد كما سنرى بعد قليل • واذا استثنينا الاشـارات الواردة عـن أوتوحيكال في قائمة الملوك السومريين وفي بعض التاليف السومرية المتأخرة ، فان من اهم الكتابات التي وصلتنا عـن هـذا الملك السومري وثيقة سومرية تتضمن تفاصيل حرب التحرير التي قادها هـذا الملك ضـد الكوتيين • وتعتبر هـذه الوثيقة أقـدم النصوص الكتابية عن اقدم حرب للتحرير عرفها التاريخ حتى الان •

فهي تسـبق حـرب التحرير التي شنهـا ملـوك السلالتين السابعة عشـر والثامنة عشر في مصـر ضد الهكسوس بمـا يقرب مـن خمسة قـرون ونصف القرن •

دراسة تحليلية لتفاصيل وثيقة الحرب :

يظهر لنا من دراسة الوثيقة ان القائد السومرى اوتوحيكال استطاع في مراحـل الغـزو الاولى أن يستجمع من حوله رجال مدينة الوركاء وضواحيها مدينـة كـولاب (Kullab) ويـذهب الملك السومري ، شأنه في ذلك شأن معظم الامراء والملوك في وادي الرافدين في تبرير منجزاتهم العسكرية، الى ان الاله انليل ، وهو اله السلطة الملوكية ، قـد عهد اليه مهمة تحطيم الكوتيين • ومن الطبيعي ان تكون الكراهيـة شديدة ضد الكـوتيين مـن جانب سكان بلاد سومر فهم اجانب يحتلون البلاد بالقوة• وقد انعكست هذه الكراهية بشكل واضح في نص اوتوحيكال عندما يصف الفرد الكوتي بانه : ـ

«أفعى وعقرب الجبال ، الذى رفـع يده ضد الالهة ، الذى نقل ملوكية سومر الى بلاد أجنبية ، الذى ملأ سومر بالعداوة فابعد الزوجة عمن كان له زوجة وابعد الطفل عمن كان له طفل والذى اشاع العداوة والعصيان في البلاد ...»

بعد ذلك ينتقل اوتوحيكال الى الحديث عـن الاستعدادات للمعركة مع الكوتيين فيذكر في مقدمة ذلك انه ذهب الى معبد الالهة انانا (Inanna) في مدينة الوركاء يسألها العون والنصر على خصمه باعتبارها الهة الحرب والتي وصفها بـ « لبوة المعركة التي تهاجم بلدان الاعداء » • بعد ذلك استنفر[١٥] اوتوحيكال رجال مدينة الوركاء ومدينة كـولاب فاستجابوا له «مستبشرين وتبعوه وكانهم رجل واحد» على حد تعبير النص •

وكان القائد السومري يتوقف في طريقه الى المعركة ليقدم الصلوات الى الالهة في معابدها• ويذكر النص ان جيوش اوتوحيكال وصلت بعد اربعة ايام مـن مسيرتها مـن الوركاء الى موضع يعـرف باسم نكسو (Nagsu) الذى يقع على نهر يسمى اتورنكال (Iturungal) •

---

(١٥) من المفيد أن نذكر بـأن هنـاك نصـا سومريا يستنتج منه أن استنفار أهـل المدينـة في حالات الطوارىء كالحرب مثلا كان يتم بنفخ البوق • فقد ذكر عن كنكامش ، ملك الوركاء «أنه كا ينفخ البوق فيهب اليه رجال مدينته هبة رجل واحد » • انظر مقالة الكاتب عن « نفخ البوق للاعلام الرسمي »، مجلـة سـومر ، المجلـد ٢٠ (١٩٦٤) ص ٦٦ ـ ٦٨ (القسم الانكليزي) •

وقد دلت المسوحات الاثرية التي اجريت في منطقة سومر [١٦] ، على ان هذا النهر كان الفرع الشرقي من نهر الفرات القديم وانه كان يمر بمدينة ادب ثم اوما ومن ثم يتجه بعد ذلك نحو الجنوب الى بادتبيرا ثم ينحرف غربا الى مدينة لارسا • وكان يتفرع من نهر اتورنكال فرع الى الشمال من اوما فيمر في مدن سومرية رئيسة مثل،زبالم ، كيرسو ، لكش ونتا • والحقيقة اننا لا نعرف في الوقت الحاضر شيئا مؤكدا عن مدينة نكسو ولكن اذا ما صح الافتراض القائل بان تل الناصرية الحالي من الجائز ان يكون مدينة نكسو القديمة [١٧]فمعنى ذلك ان الجيوش السومرية الزاحفة كان لابد وان عبرت نهر اتورنكال لتصل الى هذه المدينة الواقعة على الضفة الشرقية منه •

وبعد يوم من ذلك اى في اليوم الخامس بدأ اول احتكاك بين طلائع الجيش السومري والجيش الكوتي الذى كان بقيادة الملك تريكان (Tirigan) • وعن ذلك يقول الملك اوتوحيكال انه وصل في اليوم الخامس الى معبد ايليتبا(Ilitabba) وان جيوشه أسرت ضابطين هما اور ـ ننآزو و نابو ـ انليل • وبعد ذلك بيوم واحد من مغادرتها ايليتبا وصلت جيوش الملك السومري الى موضع يعرف كاركار (Karkar)

ويجد الباحث ان هناك ثلاث قراءات مختلفة لاسم هذه المدينة في الدراسات والترجمات المتعلقة بوثيقة اوتوحيكال موضوعة البحث ، وهذا الاختلاف ناتج عن ان اسم المدينة التي وصلتها جيوش اوتوحيكال في اليوم السادس تكتب بالعلامة المسمارية IM • وينبغي ان نلاحظ بان هذه العلامة تستخدم في الواقع في كتابة اسماء ثلاث مدن سومرية مختلفة هي :

مورو (Muru) و اينيكي (Ennigi) وكاركار (Karkar) • ولما كان اوتوحيكال يذكر مباشرة بعد اسم هذه المدينة اسم الاله اشكور (Ishkur) وتقديم الصلوات له فيكون من المؤكد اذاً ان يقرأ اسم المدينة هنا «كاركار» حيث عرفت هذه المدينة بكونها مركزا لعبادة هذا الاله في معبده المسمى اي ـ كاركار ـ را (é-harhar-ra) ولهذا ينبغي ان تستبعد القرائتين مورو الواردة في ترجمة الاستاذ Kramer[١٨] واينيكي في دراسة الاستاذ Gadd [١٩] على التوالي •

واذا كنا نجهل كليا موقع مدينة كاركار ،والتي ربما لم تكن تبعد عن مدينة الوركاء اكثر من ١٠٠ ـ ١٢٠ كيلو مترا (اذا افترضنا ان مسيرة الجيش يوميا كانت في حدود ٢٠ كيلومترا) فيبدو جليا ان المدينة كانت ذات موقع عسكري مهم بالنسبة للكوتيين اذ

---

(١٦) Jasobsen, "The Girsu Region", Sumer XXV (1969), pp. 103-109.

(١٧) حول موقع هذه المدينة والمدن الاخرى (ايلتبا) و (كاركار) و (ديروم) التي يرد ذكرها في وثيقة اوتوحيكال يراجع الان :

Robert Adams and Hans Nisseu. The Uruk Countryside, Chicago (1972). pp. 50-54.

(١٨) The Sumerian, p. 326.

(١٩) Cambridge Ancient History (third edition), p. 462.

حول مزيد من التفاصيل بخصوص كتابة اسم هذه المدن الثلاثة انظر :

Sjöberg and Bergman, The Collection of the Sumerian Temple Hymns, Chicago, (1967), p. 119 :350, p. 99 :238.

عند هذه المدينة جرت المعركـــة الحاسمة بـين قوات السومريين بقيادة اوتوحيكال وقوات الكوتيين بقيادة تريكان • ويظهر مـن الوثيقة موضوعـة البحث ان السومريين أحـرزوا نصرا حاسما في المعركة ممـا اضطر الملك الكوتي الى الفرار والالتجاء الى مدينة دبروم (Dubrum) التي ربما كانت تل جـدر حاليا الذي يقع الى الشمال الشرقي من مدينة اوما (جوخا) • ويتضح من وثيقة اوتوحيكال ان أهالي هذه المدينة السومرية كانوا على قدر كبير من الروح الوطنية أذ أنهم لم يقدموا اي عون الى الملك الكوتي ، كما انهم سرعان ما القوا القبض عليه مع افراد عائلته وسلموه الى رسل الملك السومري اوتوحيكال •

ولقـد كان انتصار السومريين على الكـوتيين وتحرير البلاد منهم حدثا عظيما بالنسبة للسومريين انفسهم حتى انهم أرخوا به الحوادث • اذ نقرأ في احد كتب التقاويم البابلية ما نصه :ـ «اذ كسف القمر في اليوم الرابع عشر من شهر تموز فهو نذير للملك الكوتي : سوف يسقط الكوتيون في المعركة وتتحرر البـلاد»[٢٠] •

نص الوثيقة السومرية عن حرب اوتوحيكال مع الكوتيين[٢١]

فوض الاله انليل ملك البلدان ، الرجل العظيم اوتوحيكال ملك الـوركاء ، ملك جهات (العالـم) الاربع ، الملك الذى لايستطيع احد مخالفة امره ان يحطم اسم «الكوتي» آفعى وعقرب الجبال الذى رفع يده ضد الالهة ،الذى نقل ملوكية سومر الى بـلاد أجنبية ، الذى ملأ بلاد سومر بالعداوة ، الذى أبعد الزوجة عمن كان له زوجة ، الذى ابعد الطفل عمن كان له طفل واقام العداوة والعصيان في البلاد •

(آنذاك) ذهب(اوتوحيكال) الىملكتهانانا ودعاها قائلا يـا ملكتي ! يا لبوة الحـرب التي تهـاجم كل البلدان الاجنبية لقد فوضي الاله انليل ان اسـترجع ملوكية سومر فكوني حايفتى (في ذلك) ان تريكان (Tirigan) ملك الكوتيين ••• لم يزحف أحـد ضده فاستولى على دجلة وساحل البحر واطبقوا عـلى الحقول في أدنى البلاد واطبقوا على الطرق في أعلى البلاد •

(ولذلك) زحف اوتوحيكال الملك الذي منحه انليل القوة والذى اختارته انانا الى قلبها ، الرجـل العظيم ، الى المعركة من الوركاء ضد (تريكـان • ولما وصل[٢٢] الى معبد الاله اشكور (Ishkur)

---

(٢٠) Cösman, "Planeterium Baby lonicum", in Sumerisches Lexicon IV part 2, Rome (1950), p. 169.

(٢١) حول النص السومري لهـذه الوثيقة وترجمتها انظر :

Gadd, A Sumerian Reading-Book, London (1924), pp. 65-73.

كما يجد القارىء ترجمـة حديثـة للنص للاسـتاذ Kramer في كتابه The Sumerians, Chicago (1963), p. 325-326.

(٢٢) نختلف هنا وفي الاسطر المقبلـة مـع الاستاذ كريمر (انظر الحاشية السابقة) في ترجمة الفعل Dù ... miš فهو يقترح لـه معنى « قرب اي قدم قربانا » فى حين تبدو ترجمته بمعنى « وصل » اكثر ملائمة لسياق النص •

قال مخاطبا (رجال) مدينته :ـ لقـد اعطاني انليـل (مهمة) الكوتيين وجعلت انانا ملكتي وعوني مصيري بعهدة الاله دموزي ، اما ـ اشمكل ـ انا (Ama-Ushumgal-Anna) [٢٣] ، وجعلت لـي كلكامش ابن الالهة نسون (Ninsun) «مشكيم» (Mashkim) [٢٤] .

وتملك الفرح أهالي مدينة الوركاء واهـالي مدينة كولاب (Kullab) وتبعه رجال مدينته وكأنهم رجل واحد وقاد الجيش زاحفا (؟) الى الامام وفي اليوم الخامس (من مسيرته) وصل معبد ايلي ـ تبا (Ili-tabba) . والقى القبض على اور ـ نآزو (Ur-Ninazu) ونابو ـ انليل (Nabu-Enlil)الضابطين (؟) عند تريكان واللـذين ارسلهما الى سومر بصفة مبعوثين ثم وضع ايديهما في قيد .

وبعد ان خرج (اوتوحيكال) من معبد ايلي ـ تبا وصل في اليوم السادس الى كاركار (Karkar) ثم وقف أمام الاله اشكور ودعاه قائلا : ايها الالـه اشكور ! لقد أعطاني الاله انليل الـسلاح فكن عوني (في المهمة) .

وفي تلك الليلة نفسها ... ذهب الى الاله اوتو ودعاه قائلا : ايها الاله اوتو ! لقـد اعطاني الالـه انليل (مهمة) الكوتيين فكن عوني (في المهمة) .

وكان الكوتيون قد جمعوا (؟) قواتهم (؟) فـي ذلك المكان وارسلوا قوات ضده . غير ان اوتوحيكال الرجل العظيم تمكن من دحرهم وأسـر قائدهم ، وعندئذ فر تريكان وانتجأ(؟) الى مدينـة دبـروم (Dabrum) . ولكن لما عرف رجال دبروم ان اوتوحيكال كان الملك الذى منحه الاله انليل القوة ، فانهم لم يطلقوا سـراح تريكان . (وجـاء) مبعوثو اوتوحيكال والقو القبض عـلى تريكان وعائلتـه في دبروم ووضعوا يديه في قيد وشدوا (؟) عينيه (؟) . (ولما) جلب تريكان امام اوتوحيكال القى بنفسه عند قدميه . فوضع (اوتوحيكال) قدمه على رقبته .ثم ... و ... الكوتى عقرب وأفعى الجبال، طرد... من أرضها (وبذلك) أعاد الملوكية الى سومر .

---

(٢٣) احد القاب الاله دموزي (تموز) ويبدو أنه يعني حرفيا « الأم ـ تنين ـ السماء » .

(٢٤) تفيد هذه الكلمة في السومرية معنيين بصورة رئيسة ، الاول : رقيب مالي لجباية الضرائب ، والثاني : شيطان أو عفريت . لما كان اوتو حيكال يقصد من قوله أن الآلهة انانا قد حشدت له القوى المساعدة متمثلة بالاله دمـوزي وباليطـل كلكامش فالارجح لذلك أن يكون المقصود من الكلمة هنا معناها الثاني كرمز للقوة الخارقة .